الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثانية * العدد الثامن عشر * جمادى الثانية ١٣٨٦ هـ * سبتمبر ١٩٦٦م

ابو دهبل الجمحي الشاعر

قصة العدد : شعاع من القلب

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثامن عشر ـ السنة الثانية

غرة جمادى الثانية سنة ١٣٨٦ هـ

١٦ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

المشرف العام

عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير

عبد المنعم النمر

مدير التحرير

على عبد المنعم

سكرتير التحرير

رضوان البيلى

صورة الغلاف

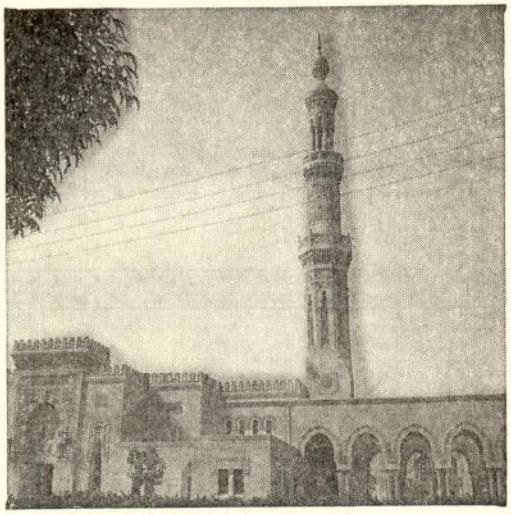

مسجد قاهر التتار قطز فى ضاحية مصر الجديدة بالقاهرة وتتجلى فيه عظمة البناء وجلال الهندسة وجمال الموقع .

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
المغرب	١	درهم
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترليني)

أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ـ الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٢٠٨٨

صاحب السمو الأمير المعظم
يوجه كلمة إلى مؤتمر الطلبة العرب

تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بتوجيه كلمة سامية الى المؤتمر السنوى الخامس عشر للطلبة العرب فى الولايات المتحدة وكندا الذى افتتح فى الشهر الماضي بجامعة كولورادو الامريكية .

وفيما يلى نص كلمة سموه حفظه الله .

أبنائي الاعزاء .

من دواعي سروري أن أنتهز هذه الفرصة الطيبة لافتتاح مؤتمركم . فباسم الكويت أحيى فيكم روح الشباب الناهض ذخر أمتنا ومحط آمالها الذى تفخر به وتعتز دوما . ولا يسعنا الا أن نشيد بكفاحكم المبارك لرفع اسم العروبة عاليا فى ربوع الغرب وباهتمامكم الجاد بقضايا الوطن العربى الهامة ، وطبيعى فى هذه المرحلة من التطور ، وفى الوقت الذى تسعى فيه البلدان العربية لاستغلال طاقاتها المادية والروحية وتوكيد شخصيتها المستقلة وأعادة بناء مجتمع عصرى أن تتجلى لها بوضوح أهمية التخطيط بمفهومه العلمى الحديث وفائدة العمل المدروس على أن تحقيق ذلك على الوجه الاتم انما يتطلب وضوح الرؤيا بالنسبة لماضينا ومستقبلنا . فثمة قيم وتقاليد اصيلة واجتماعية واخلاقية ـ يعتز بها تراثنا العربى . وعلينا أن لا نغفلها فى خضم التيارات الجارفة الجديدة .

لا شك أنه يهم كل عربي مخلص أن يرى مجتمعنا عربيا متينا متكاملا قوامه العدل والحرية والديموقراطية السليمة ، حيث تصان للفرد كرامته وتتحقق سعادته واطمئنانه وينعم بالخير العميم ، اذ تتاح له الفرصة الكافية للكشف عن مواهبه وقواه الخلاقة معتمدا على ذاته آخذا بزمام المبادرة فى كل عمل منتج كلما دعا الداعى .

ومهما يكن من شىء فنحن هنا فى الكويت ، سائرون قدما بعون الله على الدرب والنهج القويم لتطوير مجتمعنا ورفع مستوى شعبنا مستعينين بجهاز التخطيط الذى يضم عددا من الخبراء الفنيين فى التخطيط الاقتصادى والتربوى والصحى والانشائي وغيره ، فيقدم البرامج المزودة بالاحصائيات والتقارير للتنسيق والتطبيق والمتابعة .

وفى نطاق الخدمات الاجتماعية والصحية والاسكان وغيرها يولى اهتماما خاصا للتعليم الحر كأساس لبناء صرح الحياة الفكرية .

هذا ، وأننا نعلق أملا كبيرا على الجامعة الكويتية التى ستفتح أبوابها

في مستهل العام الدراسي القادم لتصبح في هذا الجزء من العالم منارة للاشعاع ومركزا للبحث العلمي الحـــر .

أما من جهة الاقتصاد ، فيسير اقتصادنا حرا ، مع ذلك اعددنا برنامجا للتنمية الاقتصادية لزيادة الدخل القومي وعدم الاعتماد كليا على البترول . فالى جانب مساهمة الحكومة في تمويل المشروعات الاقتصادية المختلفة يمنح كل تشجيع للاستثمار الخاص الفردي مع التسهيلات لخلق الجو الملائم للاستثمار ونشر الوعي الاجتماعي وسن القوانين المرنة المتمشية مع هذه الغاية .

واننا جد معنيين بخلق صناعات أخرى غير التي تقوم على البترول والغاز الطبيعي . ولا مجال للتفصيل ، عدا عن ذلك فنحن بسبيل اعداد خطـــة للزراعة والري المزدهـــرة .

هذا ، ويمكن القول بارتياح أن مساهمة الكويت في التخطيط لا تقتصر على حدودها بل تتخطاها الى كافة البلدان العربية الشقيقة عن طريق الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية . وفي ذلك تؤدي جزءا هاما من رسالتها القوميـــة .

ختاما ، اننا اذ نتطلع الى مستقبل زاهر يتحقق فيه للعرب ما يصبون اليه من آمال كبار استعادة لمجدهم التليد ، ندرك في الوقت ذاته أن السبيل الوحيد لذلك انما هو الجهد والعمل البناء لا مجرد القول والتمني .

وعليكم رجال الغد المزودين بسلاح العلم والمعرفة لما فيهما من نفع وقوة تقع مسئولية كبرى تجاه بناء وطننا الاكبر عاليا شامخا .

وفقنا الله جميعا الى مافيه خير أمتنا المجيدة وعزها ورفعتها ، راجين أن يحقق هذا المؤتمر غايته المنشودة وأن تكلل جهودكم الخيرة بالنجاح والتوفيق . وشـــكرا لكم والســـلام .

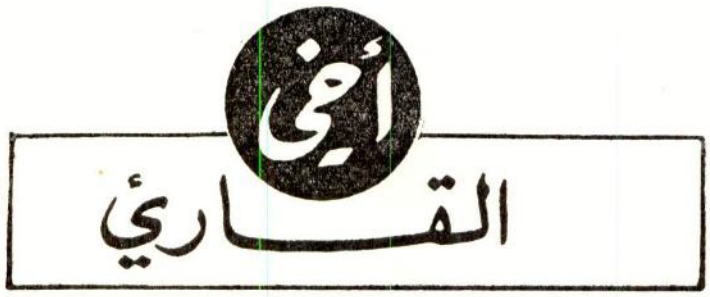

بسم الله الرحمن الرحيم

يحلو لبعض كتاب الصحف والمجلات والقصص والأفلام أن يوجدوا هوة بين الجيل الصاعد من الشباب والشابات وبين آبائهم ومربيهم ، وذلك حين يصورون أفكار الآباء والمربين بأنها آراء عتيقة بالية ، لا تصلح لقيادة هذا الجيل ، حتى أصبحنا نرى الشباب القليل الخبرة بالحياة وبما يضره أو ينفعه فيها ، كلما وجه اليه آباؤه نصحا أو لوما أو حالوا بينه وبين نزواته وطيشه نراه شديد التبرم بما يسمعه سريع التخلص من آراء موجهيه بحجة أنها آراء عتيقة لا تصلح لهذه الايام ..

ومع أننا لا ننكر أن لكل جيل ظروفه ، وأن على الآباء أن يكونوا حكماء وواقعيين فى توجيه أبنائهم الا أننا نرى أن من الجناية على الأبناء ـ وهم فى سن يحتاجون فيها الى حسن الرعاية والتوجيه ـ أن نحرمهم من الاستفادة بخبرة آبائهم ومربيهم بالحياة بعد ما عركوها وعركتهم ، ونقيم بينهم وبين هذه الخبرة سداً وذلك بما نقدمه لهم من آراء أو نعرضه عليهم من تمثيليات ، تزين لهم عدم الاعتداد بآراء آبائهم وموجهيهم . والشباب بحكم طبيعته ميال الى الاعتداد بنفسه ، وابراز شخصيته ، وقد لا يبالي فى سبيل ذلك بما يحطمه من قيم ، فاذا قرأ أو سمع أن آراء الآباء رجعية لا تصلح له ، وأنه خلق لزمان غير زمانهم زاد فى غروره ولج فى خروجه وانحرافه ... وسد أذنيه عما يسمعه من نصح .. وبذلك يفقد أغلى ما أدخره الله له من عطف الأبوة وتوجيهها ، ويعيش كالنبات السطحى لا جذور له تغذيه وتحميه من تقلبات الأيام وتياراتها وعواصفها .. أو كالسفينة التى تعطلت محركاتها ، وفقدت ربانها وصارت لعبة الامواج والرياح.. حقيقة يوجد فى بعض الآباء رغبة تصحبها شدة أحيانا ، فى طبع الابناء بطابعهم وجبرهم على أن يكونوا صورة منهم من تفكيرهم ونظرتهم للحياة وخطواتهم فيها ، ويميلون الى أن يعاملوا الأبناء المعاملة نفسها التى كان آباؤهم يعاملونهم بها كأنهم نسخة مكررة لهم ، وقد يكون فى هذه الرغبة المصحوبة بالشدة تكليف للأبناء بما لا يطيقون ، وهم ان رضخوا صغارا خوفا من الآباء فانهم لا يلبثون أن يتمردوا عليهم حين يشتد ساعدهم ، وحينئذ يستعصى علينا أن نسلس قيادهم ، أو نردهم الى صوابهم ..

وبعض الآباء تدفعهم غيرتهم على أبنائهم ورغبتهم فى سعادتهم الى أن يضيقوا ذرعا ـ أحيانا ـ بسلوك الأبناء فيدفعونهم بالفساد والمروق ، ويشعروهم بأنهم فقدوا الأمل فيهم . وهذا وحده قد يكون كافيا لقطع كل خيط يشد الابن بأبيه لا سيما فى زمن رعونته وطيشه ..

ومن هنا كان من الواجب على الآباء أن يكونوا حكماء فى اختيار الاسلوب الذى يعاملون به أبناءهم ، وفى توجيههم للسلوك الذى يحبونه لهم .. ويعتمدوا على الاقناع

والترغيب أكثر مما يعتمدون على الأوامر والترهيب ، ويحافظوا ما أمكن حتى فى حال شدتهم على أن يشعروا الابناء بعطفهم .

واذا كنا نقول هذا للاباء ليفلفوا عطفهم الطبيعى على أبنائهم بالأسلوب الحكيم المناسب ، فاننا نحب أن نقول للأبناء ـ وهم فلذات أكبادنا وقرة عيوننا وأملنا الذى نكدح من أجله فى هذه الحياة ـ أن عطف الأبوة ـ مهما يكن حوله من أشواك ـ لا يمكن تعويضه ، وهوكنز خاص بهم وحدهم لا يشاركهم فيه غيرهم فاذا وجدوا معه شيئا يتعبهم فليتقبلوه راضين مقدرين فلا بد للشهد من ابر النحل ، والذى يريد أن يمتع نفسه بالورد الندى يقطفه من أغصانه لا يسلم من وخز أشواكه .

ولقد كان أمير الشعراء أحمد شوقى عليه رحمة الله صادقا كل الصدق ، وهو يصور عاطفة الأبوة فى مدحه للرسول صلى أالله عليه وسلم بالرحمة حين قال :

واذا رحمت فأنت أم أو أب　　هذان فى الدنيا هما الرحماء

نعم هذان هما الرحماء فى هذه الدنيا المجدبة من نسائم الرحمة والعطف والحب الطبيعى الذى لا يشوبه غرض .. فليحرص الأبناء دائما مهما تبلغ سنهم أو تسمو بهم مراكزهم أن ينهلوا من هذا العطف ، وأن يستدروه ويستفيدوا من نبعه الصافى الذى يسعدهم فى دنياهم وآخرتهم ويزيد من منزلتهم عند الله والناس ..

لا أحب من الأبناء أن يضيقوا ذرعا بما يسمعونه من آراء أو توجيهات أبوية ، ربما يرونها غير صالحة للتطبيق فى عصرهم ، وعليهم أن يقدروا كل التقدير مبعث هذه الآراء والحامل عليها ، فان مقام الأبوة لا يهدره ولا ينال منه مجرد الاختلاف فى الرأى، بل ولا الاختلاف فى الدين بل يسمو على هذه الاختلافات ، ويبقى له حقه من التقدير والوفاء ((وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا))

والمربى فى معهده والد روحى تربطه بأبنائه الطلاب معان وقيم رفيعة ، ومعرفة وثقافة يقدمها غذاء لعقولهم وأرواحهم ، وجهد يبذله ليرقى بهم درجات السـلم الى القمة التى يحلمون بها ، ويعدون أنفسهم لبلوغها .

وبمقدار غيرته وحرصه على مستقبلهم تكون يقظته وشدته فى مراقبتهم وحسن توجيههم ، فليتقبلوها منه بمقدار حرصهم على مستقبلهم .. ويبذلوا له من الاحترام والتقدير ما يزيده حبا فيهم ، وغيرة على مستقبلهم ، ورعاية لآمالهم . وليذكروا دائما وهم يواجهون شدة من آبائهم أو مربيهم هذه الحكمة المعبرة عن واقع الآباء والمربين .

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما　　فليقس أحيانا على من يرحم

رعاكم الله يا شباب وأنتم تقبلون على عام جديد من حياتكم ، وسقى نبتكم حتى يثمر الثمرة المرجوة منكم ، وجعلكم جنودا مخلصين لدينكم ووطنكم .

إحاطة القرآن الكريم بالفطرة

للدكتور محمد أحمد الغمراوى

موضوع كريم جليل يدعو الى بحثه بما ينبغى له من الدقة والاحتياط نصان كريمان فى كتاب الله . هما قوله تعالى (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) فى الآية « ٣٨ » من سورة الانعام ، وقوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء) فى الآية « ٨٩ » من سورة انحل .

والنص الكريم من آية النحل لا يحتمل لفظ (الكتاب) فيه الا معنى واحدا هو القرآن الكريم.

والنص كما ترى عام طابعه الاستغراق ، لم يأت فى الآية ما يخصصه ، أو يقيده ، لكن أكثر المفسرين حملوه على الدين وأحكامه ، لان شغلهم الشاغل كان تبليغ الدين بمعناه الخاص وتبيين أحكامه ، فلم ينصرف ذهنهم الا الى ما كانوا مشغولين به . والقلة منهم هى التى أخذت بظاهر النص . ومن هؤلاء المفسر المحدث الامام ابن كثير صاحب التفسير بالمأثور فانه بعد أن روى تفسيرين أحدهما لصحابى هو ابن مسعود ، والآخر لتابعى هو مجاهد اختار قول ابن مسعود لانه أعم وأشمل .

قال مجاهد فى تفسير قوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء) انه تبيان لكل حلال وكل حرام . وقال ابن مسعود رضى الله عنه « قد بين لنا فى هذا القرآن كل علم وكل شىء » وعقب عليهما ابن كثير بقوله « وقول ابن مسعود أعم وأشمل ، فان القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتى فى كل حلال وحرام ، وما الناس محتاجون اليه فى أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم » .

وابن مسعود هو الصحابي الجليل الذى ذكره عبد الله بن عمرو ، فيما روى البخارى ، فقال

لا أزال أحبه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول «خذوا القرآن من أربعة . من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب » ثم هو الذى روى عنه البخارى (١) قوله « والله لقد أخذت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة . والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنى من أعلمهم بكتاب الله ، وما أنا بخيرهم » .

والنبي عليه الصلاة والسلام كان يعلم الصحابة معنى ما يحفظهم من القرآن ، فلا ينقلهم من آيات حفظوها الى آيات ليحفظوها الا بعد أن يكونوا فقهوا الآيات التى حفظوا . ولازم هذا أن ابن مسعود رضى الله عنه ، لما تلقى من فم النبى قوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) ، تلقاه نصا ومعنى . فقوله فى تفسير النص الكريم « قد بين لنا هذا القرآن كل علم وكل شيء » ليس رأيا من عنده ولكن تعبيرا عن معنى تلقاه عن النبى صلوات الله وسلامه عليه . وفى هذا حجة لتفسير ابن مسعود أكبر من الحجة التى ساقها ابن كثير من كون تفسيره أعم وأشمل، جريا فيما يبدو على مبدأ حمل القرآن على أجل احتمالاته وأليقها باعجازه . وهو مبدأ صدق يتبع ان كان هناك مانع يمنع من الجمع بين المعانى التى تحتملها الآى ، والا فالاليق بكتاب الله واعجازه الا يعدل عن وجه يفيده النص القرآنى الا بقرينة مانعة ، وان تعددت الاوجه ، فلو شاء الله لأنزل النص لا يحتمل الا معنى واحدا لو كان المعنى الواحد هو المراد . وما دامت الآية الكريمة، آية سورة النحل ، عامة مطلقة فى صيغتها ، وقد فهمها الصحابى الجليل على ظاهرها من العموم والاطلاق ، وكان أكبر الظن أن ما فهمه منها انما أخذه عن النبى صلوات الله وسلامه عليه ، فقد وجب على الباحث أن يمضيها على ما تظاهر عليه التعبير اللغوى والعقل والنقل ، وان يحاول استبانة المدى الذى يمتد اليه ذلك العموم ، فينظر اولا كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء فى الدين ، ليتخذ من ذلك معيارا ومقياسا لكون القرآن تبيانا لكل شيء فى الفطرة .

أما ان القرآن تبيان لكل شيء فى الدين ، فقد أجمع عليه ائمة الفقه وأئمة التفسير . لكنهم لم يقصدوا بهذا ان القرآن حوى أحكام الدين بالتفصيل ، فان التفصيل قد علموه فى السنة النبوية المطهرة .

لكن لما كان الحق سبحانه قد وكل الى نبيه تبيين الكتاب فى مثل قوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون)(٢) ، وأوجب على الناس طاعته صلى الله عليه وسلم فيما يبين وفيما يأمر وفيما ينهى ، وذلك مثل قوله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) (٣) ، وقوله عز وجل (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (٤) ، فقد اعتبر الائمة وثقات العلماء جميعا أن الكتاب العزيز قد حوى السنة المطهرة كلها بعموم تلك النصوص . وهذا هو المعنى الذى قصده مجاهد رحمه الله حين قال قوله الذى نقله عن ابن كثير من أن القرآن قد بين كل حلال وكل حرام ، اذ لم يكن يخفى عليه أن تفصيل ما أحل الله وحرم انما بينته السنة النبوية . وقد نقل أبو حيان عند تفسير قوله تعالى (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) قول مجاهد . « لتبين » بتفسيرك المجمل وشرحك ما أشكل ، فيدخل فى هذا ما بينته السنة من أمر الشريعة .

والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يرون هذا . كانوا يرون أن ما سنه الرسول صلوات الله وسلامه عليه فقد سنه الله فى كتابه بعموم قوله تعالى فى سورة الحشر (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) . يدل على ذلك ما رواه البخارى (٥) عن علقمة قال « لعن عبد الله ـ أى ابن مسعود ـ الواشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ، فقالت أم يعقوب ما هذا ؟ قال عبد الله وما لى لا العن من لعن رسول الله وفى كتاب الله . قالت والله لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته . قال والله لئن قرأتيه لقد وجدتيه . (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) » .

---

(١) الحديثان فى كتاب فضائل القرآن فى الجزء السادس من صحيح البخارى .
(٢) الاية (٤٤) سورة النحل
(٣) الآية (٨٠) سورة النساء
(٤) الآية (٧) سورة الحشر
(٥) فى الجزء السابع فى أواخر كتاب اللباس .

الحكمة . السنة

والسنة النبوية مذكورة فى كتاب الله باسم الحكمة فى قوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) (١) ، وقوله عز وجل (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم) (٢) ، قال ابن كثير فى تفسيره (ويعلمهم الكتاب والحكمة) « يعنى القرآن والسنة » وكرر نفس المعنى فى تفسيره الاية الثانية .

وتفسير الحكمة بالسنة « قاله الحسن وقتادة ومقاتل بن حبان وأبو مالك وغيرهم » فيما ذكر ابن كثير فى تفسير (ويعلمهم الكتاب والحكمة) من الآية (١٢٩) من سورة البقرة ، وقاله الزمخشرى فى الكشاف فى تفسير آية آل عمران المذكورة آنفا ، كما قرره الامام الشافعى فى الرسالة التي أصل فيها أصول الفقه ، والقاضى الفيلسوف ابن رشد فى كتابه الذى كتبه مقدمة للمدونة فى فقه الامام مالك .

قال الشافعى « كل ما سن رسول الله مما ليس فيه كتاب ، وفيما كتبنا فى كتابنا هذا من ذكر ما من الله به على العباد من تعلم الكتاب والحكمة، دليل على أن الحكمة سنة رسول الله » (٣) . وقال ابن رشد فى الفصل الذى عقده فى المقدمة فى بيان الطريق الى معرفة أحكام شرائع الدين ، وانها تدرك من أربعة أوجه أولها . كتاب الله عز وجل . والثانى . سنة نبيه عليه الصلاة والسلام الذى قرن الله طاعته بطاعته ، وأمرنا باتباع سنته، فقال عز وجل (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة) .

والحكمة السنة (٤) والشاهد هو فى الجملة الأخيرة وان بدا أن آية آل عمران أو آية النساء كانت أولى بالاستشهاد بها من الآية التى ذكر ابن رشد من سورة الاحزاب . وقد ذكرنا كلام ابن رشد بتمامه ، على تكرار فيه لشواهد قرآنية سبقت ، لتدل على أن دلالة تلك الآيات الكريمة مسلمة ، حتى عند من كانت شهرته بالفلسفة أكبر من شهرته بالفقه مثل ابن رشد . ومثله لم يكن ليتابع الأقدمين تقليدا ، ولكن عن بصيرة واقتناع .

ان قوله تعالى (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة) نص لا ينبغى ان يغفل عنه مسلم ، فى أن السنة النبوية من عند الله ، سواء أكانت وحيا بالفعل ، كما فى حادثة المعتمر المتضمخ بالطيب ، أم القاء من روح القدس فى روعه صلى الله عليه وسلم ، كما فى حديث الأمر بالاجمال فى طلب الرزق ، أم اجتهادا منه صلى الله عليه وسلم ، فان الوحى ينبهه الى حكم الله ان لم يصادف اجتهاده حكم الله ، كما فى حادثة أسرى بدر .

وحادثة المحرم بعمرة وهو متضمخ بطيب رواها البخارى فى مواطن متعددة من صحيحه عن يعلى ابن أمية رضى الله عنه قال . فى كتاب الحج ـ « بينما النبى صلى الله عليه وسلم بالجعرانة ومعه نفر من أصحابه جاء رجل ، فقال يا رسول الله كيف ترى فى رجل أحرم بعمرة وهو متضمخ بطيب ؟ فسكت النبى صلى الله عليه وسله ساعة فجاءه الوحى ... ثم سرى عنه فقال أين الذى سأل عن العمرة ؟ فأتى الرجل ، فقال اغسل الطيب الذى بك ثلا ثمرات ، وانزع عنك الجبة ، واصنع فى عمرتك كما تصنع فى حجك » .

وروى الشافعى فى الرسالة عن المطلب بن حنطب قال قال رسول الله « ان الروح الامين قد ألقى فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها ، فأجملوا فى الطلب » (٥) وعقب الامام عليه بقوله « فكان مما ألقى فى روعه سنته ، وهى الحكمة التى ذكر الله . » وبهذا أكد رضى الله عنه تفسيره للحكمة فى الآيات الكريمة بالسنة .

---

(١) آية (١٩٤) من آل عمران . (٢) الآية (١١٣) من النساء .

(٣) الفقرة (٩٦) من الرسالة للامام الشافعى تحقيق القاضى المحدث احمد محمد شاكر رحمه الله .

(٤) صفحة ١٤ من المقدمة طبعة الحاج محمد ساسى المغربى .

(٥) رقم ٣٠٦ فى الرسالة بتحقيق وشرح احمد محمد شاكر .

وأما أخذه صلى الله عليه وسلم فى أسرى بدر برأى الصديق من قبول الفدية ، لا برأى الفاروق من القتل ، فهو الذى كان يقضى به العقل الانسانى وتقضى به الرحمة البشرية فى ذلك الموقف ، حتى نزلت آية سورة الانفال . ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض) «(١)» ، وكانت بدر أول موقعة للنبى ظفر فيها بأعداء الله ، ولم يكن صلى الله عليه وسلم يعلم أن لاسراها حكما عند الله خاصا غير حكمه العام الذى نزل بعد فى سورة محمد (فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) (٢) أى أن اجتهاده عليه الصلاة والسلام اصاب ووافق حكم الله العام فى أسرى الحرب فى الاسلام ، حين لم يكن فى الامكان ان يصيب موضع الاستثناء الفذ الوحيد من ذلك الحكم العام ،فنزل القرآن ينبه الى حكم الله فى أسرى أول موقعة يظفر فيها الاسلام بأعدائه ليكونوا عبرة لمن خلفهم ، ولتكون الحادثة وما نزل فيها دليلا خالدا على أن القرآن من عند الله لا من عند محمد ، وليكون نزول الحكم مع اقرار ما عمل النبى قبل نزوله مظهرا جليلا لاشراف الوحى على عمل الرسول ، فلا يقر ابدا الا على ما وافق اجتهاد الرسول فيه حكم الله ، ثم ليكون هو الحكم فى مثلها لو استدار الزمان وعاد الموقف . ولقد عاد بالفعل فى فلسطين عام ١٩٤٨ ، ولكن أولى الامر من المسلمين عندئذ لم يعملوا بحكم الله فيه ، ولم يتذكروا او لم يتفكروا فى الوعيد المنطوى فى خطاب الله لرسوله وللمسلمين عقب رفقهم بأسرى بدر ، اذ يقول سبحانه (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم) (٣) ، ولازم هذا النص أن من يخطىء حكم الله فى مثلها فلا يثخن فى أعداء الله يصبه من الله عظيم العذاب . وليس أعظم مما اصاب المسلمين فى دير ياسين ، ومن تشريد أهل فلسطين حين لم يثخن المسلمون فى اليهود وقد أمكن الله منهم لاول مرة . ولو أنهم أخذوا فى اليهود حينئذ بحكم الله ذلك ، لما أبقوا على ما كان بأيديهم من الاسرى ، ولما قبلوا الهدنة وجيوشهم على أبواب تل أبيب ، ولقد انتقم الله من أولى الامر الذين عصوه فى أعدائه ، فكانوا سبب تلك النكبة . واذا كان عذابه لم يقتصر عليهم ، فانما كان ذلك مصداقا لقوله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) «(٤)» . واحكام الله فى كتابه ، هى طبق سنن له سبحانه فى البشر كسننه فى الفطرة ، أو الطبيعة كما يسميها مقلدة الافرنج ، لا تتبدل ولا تختلف . من يخالفها يلق فى الدنيا من سوء العاقبة مالا يشفع له معه حسن نية ولا خطأ ولا نسيان ، وان شفع له ذلك يوم القيامة عند الحساب الا فيما يتعلق بالتبعات وحقوق العباد . يشهد لذلك أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان لا يصلى على ميت مدين الا اذا حمل احد عنه دينه او كان فيما تركه وفاء . فان لم يكن له أو لم يحمل عنه كان صلى الله عليه وسلم يقول « صلوا على صاحبكم » لان الصلاة على الميت دعاء ، ودعاء النبى مستجاب فامتناعه عن الدعاء للميت فى تلك الحالة دليل واضح أن الميت رهين بدينه ، لا يسقطه عنه الا أداؤه ، ومن باب أولى ما هو أكبر من الدين من التبعات .

هذا كما ترى استنباط وقياس . والقياس ثانى مصدرين للتشريع فى الاسلام ، يقومان باذن الله الى جانب كتابه وسنة رسوله ، ليكون فيهما باب لالتماس حكم الله فيما يجد للمسلمين من أقضية على مر العصور . وأول المصدرين هو الاجماع ، والاجماع والقياس لم يكونا طبعا مصدرين للتشريع الاسلامى الا استنادا الى أصل لهما فى القرآن . وثبوت كل منهما عن طريق نص قرآنى مثال اخر للآية القرآنية تفتح الباب واسعا لاعمال الفكر والعقل اجتهادا فى الدين ، فكأنما هى بذلك قد شملت كل ما قد نتج أو يمكن أن ينتج من أحكام عن طريق الاجماع أو القياس الصحيح .

وكتب الاصول حافلة بالاستدلال عليهما من الكتاب والسنة ، ناهجة النهج الذى افتتحه الامام الشافعى للعلماء فى الرسالة التى اقتبسنا منها ، وسنعود أن شاء الله اليها نقتبس . لكن لما كان ابن رشد فيما نظن أقرب الى قلوب مثقفة هذا العصر فانا نؤثر فى هذا المقام أن نورد ما استدل به من كتاب الله على طريقى الاجماع والقياس ، فانهما هما الوجهان الثالث والرابع من الاوجه الاربعة التي قال ، فيما سبق أن

---

(١) الآية (٦٧) (٢) الآية (٤) . (٣) آية . (٦٨) من سورة الانفال
(٤) الآية (٢٥) من سورة الانفال .

أوردنا من كلامه ، أن بها تدرك أحكام شرائع الدين . قال ابن رشد بعد كلامه على سنة النبى التى هى الوجه الثانى من الاوجه الاربعة . ـ

(والثالث) الاجماع الذى دل تعالى على صحته بقوله (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) «(١)» ، لأنه عز وجل توعد باتباع غير سبيل المؤمنين ، فكان ذلك امرا واجبا باتباع سبيلهم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجتمع أمتى على ضلالة » .

(والرابع) الاستنباط وهو القياس على هذه الاصول الثلاثة التى هى الكتاب والسنة والاجماع لان الله تعالى جعل المستنبط من ذلك علما ، وأوجب الحكم به فرضا ، فقال عز وجل (ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) «(٢)» ، وكلمة (يستنبطونه) لا يزال لها نفس المعنى الذى كان لها عند الوحى لم يتطور بالاستعمال . وأصله استخراج الماء من البئر أول ما تحفر « فأستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعانى والتدابير فيما يعضل » كما يقول النسفى فى تفسيره .

ومن الممكن تلخيص كيف أن القرآن بيان لكل شىء فى الدين ببعض أقوال الامام الشافعى فى الرسالة . قال رضى الله عنه . « فجماع ما أبان الله لخلقه فى كتابه ، مما تعبدهم به لما مضى من حكمه جل ثناؤه ، من وجوه .

فمنها ما أبانه لخلقه نصا . مثل جمل فرائضه فى أن عليهم صلاة وزكاة وحجا وصوما .. مع غير ذلك مما بين نصا .

ومنه ما أحكم فرضه بكتابه ، وبين كيف هو على لسان نبيه ، مثل عدد الصلاة والزكاة ووقتها ، وغير ذلك من فرائضه التى انزل من كتابه .

ومنه ما سن رسول الله مما ليس فيه نص حكم وقد فرض فى كتابه طاعة رسوله والانتهاء الى حكمه . فمن قبل عن رسول الله فبفرض الله قبل .

ومنه ما فرض الله على خلقه الاجتهاد فى طلبه ، وابتلى طاعتهم فى الاجتهاد كما ابتلى طاعتهم فى غيره مما فرض عليهم «(٣)» ، « والاجتهاد القياس » «(٤)» .

عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، واذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » (٥) .

ولم يجعل الله لاحد بعد رسول الله أن يقول الا من جهة علم مضى قبله . وجهة العلم بعد الكتاب والسنة والاجماع والآثار وما وصفت من القياس عليها . » ولا يقيس الا من جمع الالة التى له القياس بها ، وهى العلم بأحكام كتاب الله . فرضه ، وأدبه ، وناسخه ، ومنسوخه ، وعامه ، وخاصه ، وارشاده .

ويستدل على ما احتمل التأويل منه بسنن رسول الله ، فاذا لم يجد سنة بها جماع المسلمين ، فان لم يكن اجماع فبالقياس » (٦) .

وقد أفاض رضى الله عنه فى آداب المجتهد وفى شرح كل وجه ذكره بضرب الامثال ، كما أفاض قبل فى وجوب معرفة لسان العرب حتى يعلم العام فى القرآن الذى يبقى على عمومه ، والعام الذى أريد به الخصوص الى آخر ما قال مما وضحه أيضا بالمثل بضربه بعد المثل .

والآن وقد تبينا معنى احاطة القرآن بكل شىء فى الدين كما فهمه وأقره ثقات العلماء ، فلننظر هل القرآن محيط نفس الاحاطة بالفطرة التى فطر الله الكون عليها ؟

والفطرة ، كما سبق أن نبهنا ، هى ما غلب تسميتها بالطبيعة ممن غلبت عليهم ثقافتهم الغربية . فالافرنج يقولون الطبيعة فعلت ، حين

---

(١) آية . ١١٥ سورة النساء .
(٢) الآية . ٨٣ سورة النساء .
(٣) الفقرات ٥٥ ـ ٥٩ من الرسالة .
(٤) الفقرة ١٣٢٦ من الرسالة .
(٥) الفقرة ١٣٢٦ من الرسالة .
(٦) الفقرات ١٤٦٨ ـ ١٤٧٠ من الرسالة .

ينبغى أن يقول المسلم المثقف الله فعل . والكلمة الافرنجية هى Nature . وقد ذكرت بلفظ (نيتشر) تعريبا لها فيما يبدو فى رسالة السيد جمال الدين الافغانى فى الرد على الدهريين .

والحديث الشريف ينهى المسلم ان ينسب فعل الله الى غير الله ، وهو يأثم أكبر الاثم ان فعل . فقد روى البخارى فى الجزء الاول فى (باب بدء الأذان) عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه أنه قال « صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر . فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب . وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب » . وليس بعد هذا الحديث الشريف تشديد فى النهى أن يقال الطبيعة منحت والطبيعة حرمت ، فما النوء الذى كانت العرب تنسب له المطر الا مظهر من مظاهر ما تعود الافرنج أن يسموه بالطبيعة .

وكلمة (فطر) لها فى العربية عدة معان ، منها معنيان مناسبان لموضوعنا هذا ، ذكرهما صاحب القاموس مع ما ذكر .

فطر الأمر . ابتداه وأنشأه .

فطر الله الخلق . خلقهم وبرأهم .

فالله فاطر السموات والارض كما وصف سبحانه نفسه فى آيات متعددة ـ أى مبتدئها ومنشئها وخالقها وبارئها .

ولم ترد كلمة (فطرة) فى القرآن الكريم الا فى آية واحدة هي الآية (٣٠) من سورة الروم . (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فهي فى الآية مصدر أضيف الى فاعله وهو الله عز وجل . وليس بعد هذا تكريم وتشريف لفطرة الانسان وخلقته التي يولد عليها كما نطق ، الحديث الشريف . (كل مولود يولد على الفطرة وأبواه هما يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) أو كما قال صلى الله عليه وسلم . فالآية الكريمة نص فى أن الاسلام جاءت أحكامه طبق سنن الله فى الناس،أفرادا وجماعات ، وسنن الله لا تتغير ولا تتبدل (لا تبديل لخلق الله) . فالفطرة اذن تشمل كل ما يتعلق بالانسان بنص القرآن فى آية سورة الروم . فهذا أول وجه من وجوه احاطة القرآن بالفطرة .

وقد وردت مادة فطر على صيغة الماضى فى آية سورة الروم كما رأيت ، وفى آيات أخر على السنة الرسل فيما قص الله علينا من أنبائهم ، بعضها فيه مفعول فطر ضمير المتكلم الراجع الى النبي المحكية قصته يقيم الحجة على قومه بأنه مخلوق لا يذعن الا للذى خلقه ، ولا يعبد الا الذى فطره ، وفيه اشارة واضحة الى أنهم مخلوقون مثله ، خلقهم الذى خلقه ، فعليهم أن يعبدوا خالقهم وخالقه ، لا الأصنام التي كانوا يعبدون . وعلى هذه الصورة ورد الفعل على لسان نبى الله هود فى الآية (٥١) من سورة هود . (يا قوم لا أسألكم عليه أجرا ، ان أجرى الا على الذى فطرنى ، أفلا تعقلون) وعلى لسان نبى اللهابراهيم فى الآية (٢٧) من سورة الزخرف . (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون . الا الذىفطرنى فانه سيهدين) .وبعضها فيهمفعولفطر السموات والأرض أو الضمير الراجع اليهن ، يقيم النبى على قومه حجة أبلغ من الأولى أن الذى فطر السموات والأرض هو الواجب أن يقصد ويعبد لا غيره . وعلى هذه الصورة ورد الفعل على لسان خليل الله ابراهيم فى الآية (٧٩) من سورة الأنعام . (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) والآية (٥٦) من سورة الأنبياء . (قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن ، وأنا على ذلكم من الشاهدين) .

البقية على ص ٢٣

من هدي السنّة

[٤] محمّد رسول الله وخاتم النبيين

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى
لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين . » . رواه الشيخان البخارى ومسلم

١ ـ لئن كان لكل أمة ما تفخر به وتعتز ، وما تحرص عليه وتفديه بكل غال ونفيس ، فلأمة العرب ما ليس لغيرها من أمم الارض جميعا ، من مقومات الحضارة الانسانية : تملك هدية الله وهدايته ، اختارها لحمل خير الرسالات : لا ينازعها فى ذلك منازع ، اصطفى منها رسوله ، وبعثه اليها والى البشر كافة بشيرا ونذيرا بين يدى الساعة ، وندبها لتلقى الامانة التى اشفقت منها السموات والارض .

وما كان للهادى والقائد المؤسس بعد أن أكمل الله دينه وأتم نعمته الا أن يلتحق بالرفيق الاعلى فلكل أجل كتاب ، وتلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنته تبديلا ، والأسس والمبادىء والقواعد وأصول الشريعة هى الباقية ما بقى الزمان : ولكنها لا تنهض بنفسها ، وانما يحملها رجال أمناء يؤدونها لرجال مخلصين : وعلى قدر عظمة الدعوة وقوتها تكون قوة ومكانة القائمين عليها ، كما يتصدى الاعداء والمعاندون والحاقدون ـ وما أكثرهم فى كل زمان ومكان ـ للنيل منها ، ومحاولة هدمها ، يظهرون حين تختفى آسادها ، ويختفون حين تفضحهم شموسها .

٢ ـ وكما قلت فى مقال سبق (لندع ما مضى ونقرؤه تاريخا للعظة والعبرة) .. ولا نغمط السلف حقهم فقد قارعوا الحجة بالحجة ، وحفلت بمناقشاتهم موسوعات خلفوها : وآثار كريمة لازالت هى المراجع الاولى لدى المشتغلين بالعقليات فى العالم .

واليوم دخل النزاع طورا جديدا، وتطورت أسلحة المعركة من جانب الأعداء ، فهاجموا الاسلام باسم الثقافة

والتثقيف ، وأحيانا فى تكتلات سموها جمعيات (١) روحية الى آخر ما هناك.

ولى وقفة قصيرة مع بعض المستفيدين من تراثنا ، الجاحدين لفضله عليهم ، والعادين على رسول الانسانية بغير حق ، تقرأ كتبهم : فلا تصدق مطلقا أنها لعلماء باحثين لأنها لا تصدر الا عن جهل فاضح أو حقد دفين ، فمنهم من يقول. (ان القرآن كتاب مسيحى يهودى نسخه محمد ، وان الاسلام دين مادى لا روحية فيه ، يدعو الى الدنيا وليس الى صفاء النفس والمحبة) (٢) .

فهل يصدر هذا الكلام عن فاقه فاهم للقرآن دارس له ، مقارن بينه وبين الانجيل والتوراة محيط بما فى الكتب السابقة على القرآن كما أنزلت ، أو أن هذا خبط عشواء ، وقىء حاقد أثيم .

وهل حقا أن الاسلام لا روحية فيه ، وأنه يدعو الى المادية ، ويورث العداوات بين البشر ، ويزكى حمية اللون والجنس.

وهل يصدق أن كاتب هذا القول المجافى للحق والبعيد عن الواقع قد أطلع على ما ورد فى القرآن الحكيم من قوله تعالى (ان اكرمكم عند الله أتقاكم) وقوله سبحانه (انما المؤمنون اخوة) وقوله تعالى (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) ... (ادفع بالتى هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) .

وهل عرف شيئا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهل درى ما صدر عنه عليه الصلاة والسلام من الحث على المحبة والتعاطف والتراحم والتواد والتكافل والصفح والغفران ، ألا يكفيه أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) وأن يقول (ترى المسلمين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر) ألم يطالعوا بالذكر الحكيم قول الله تعالى حاثا على موادة غير المسلمين والاحسان اليهم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) (١) .

هذا نموذج من المبادىء الانسانية الرحيمة التى دعا اليها رسول البشرية ، وطبقها عملا وحكما وقامت على أسسها امة مثالية ذات حضارة وارفة الظلال ، نعم بها المسلمون وغيرهم ممن أظلهم حكم الاسلام فهل تثبت بعد هذا فرية مفتر أو جحود مكابر .

٣ ـ ان حياة رسول الله الشخصية والاجتماعية واضحة كل الوضوح ، وهو فى هذا متميز على كل البشر من لدن آدم الى يوم الدين ، فلم يوجد على ظهر الارض رسول أو مصلح ، أو حاكم عرف تاريخ حياته كله ، ودونت سيرته ، وأحصيت حركاته وسكناته ، وتوفر له من أصحابه من تعلقت عيونهم وأبصارهم بشخصه ، كما توفر ذلك لسيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين .

ان حياة رسول الله وسيرته لا يغض منها عبث عابث أو جهل جاهل أو حقد حاقد ، ومع هذا فلا توجد شخصية ثار حولها الجدل بالحق والباطل كما ثار حول رسول الله خاتم النبيين ، ولكن الحق دائما يعلو شامخا لا يواريه دجل أو شعوذة ، وقد أحنى الاعداء العقلاء هاماتهم اجلالا لعظمة رسول الله الذى حقق من الاعمال الخارقة فى مدى قصير مالم تشهد له الدنيا مثيلا .

(لقد أنجز محمد فى مدى عشرين سنة ما عجزت عن انجازه قرون من جهود

---

(١) راجع مقال الشيخ الغزالى بنفس العدد

(٢) المبشرون والمستشرقون للدكتور محمد البهى ص ١

(٣) سورة الممتحنة آية (٨) .

المصلحين اليهود والنصارى برغم السلطة الزمنية التى كانت لهم ، لقد استأصل من بلد كامل تراث أجيال من الوثنية والخرافة والجهل والبغاء والقمار ومعاقرة الخمر واضطهاد الضعيف والحرب الضروس ومثل ذلك من الشرور الاخرى ، وليس فى استطاعة التاريخ أن يدلنا على أى مصلح آخر وفق الى احداث تحول فى مثل هذه الروعة والتمام، وعلى مثل هذا النطاق الواسع خلال فترة فى مثل هذا القصر، فلم يكن الاصلاح فى أيما يوم ميؤوسا منه أكثر مما كان عند ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم) «(١)» .

(... ولو كان الاسلام الحقيقي معروفا فى أوربا لكان من المحتمل أن ينال ـ اكثر من أى دين آخر ـ من العطف والتأييد من جراء روح التدين التى نجمت عن الحرب الكبرى ، فانه والحق يقال يلائم جميع ميول معتنقيه على اختلاف مشاربهم ، فهو ببساطته المتناهية كما يذهب المعتزلة ، وباشتماله على روح التصوف كما يذهب اليه الصوفية ـ يهدى علماء أوربا واسيا الى الطريق المستقيم ويجدون فيه تعزية وسلوى من غير أن يحول بينهم وبين حريتهم التامة فى آرائهم وأفكارهم) (٢).

٤ ـ وفى ختام هذا البحث الذى استغرق أربع مقالات لا نرى بأسا من ايراد صورة مما كان عليه أعداء الاسلام فى أول أمره ، ثم نعقبها ببيان موجز لعمل الاعداء المعاصرين ...

(أ) فى مكة

اجتمع الى الوليد بن المغيرة المخزومى نفر من قريش وتباحثوا فى أى طريق يسلكونها لصد الناس عن الاسلام وعن نبى الاسلام « فقالوا : نقول : كاهن ، قال : لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان ، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه ، قالوا : فنقول : مجنون ، قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته ، قالوا : فنقول : شاعر ، قال: ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهجزه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر، قالوا : فنقول : ساحر ، قال ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم ، قالوا : فما نقول ؟ .

قال . ان أقرب القول فيه لان تقولوا : هو ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته .

وبلغ أشراف قريش من الحرص على عدم ترك انسان يصبأ ما صاروا يراقبون به محمدا مراقبة دقيقة ، وأثرت فى الاخنس بن شريق وفى أبى سفيان وأبى جهل تلاوة محمد للقرآن ليلا ، فذهب الاخنس الى أبى سفيان ، ثم الى أبى جهل ليعرب عن مشاعره ، فقال لابي جهل . « يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعنا من محمد ؟ « فكان جواب أبى جهل عن سؤال هذا الضعيف . « ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فاطعمنا وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا ، حتى اذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا : « منا نبى يأتيه الوحى من السماء ، فمتى ندرك مثل هذا ؟ » .

ب ـ اما اسلحة أعداء الاسلام ورسول الاسلام المعاصرين فتتمثل فى اصدار الصحف والكتب والنشرات المسمومة ، وانشاء المدارس والجمعيات والمؤسسات لمحاربة الاسلام فى بلاد المسلمين دون رقيب أو حسيب ، اللهم الا فى بعض بلاد وعت حديثا ، فأخضعت كل مؤسسة ثقافية

---

(١) حياة محمد ورسالته لمولانا محمد على ص ٦ .

(٢) محمد رسول الله ص ١٦ ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود

أجنبية لسلطان الحكومة ، وذلك مظهر كريم من مظاهر سيادة الدولة فحبذا لو سرى هذا فى جميع بلاد المسلمين .

لقد صدق الله العظيم حين يقول « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » . وقد أخذت مظاهر الفورة الاسلامية فى هذا العصر أشكالا كريمة وأساليب طيبة فهنا فى دولة الكويت الفتية قامت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بمجهودات مشكورة لخدمة القضايا الاسلامية فى مختلف أنحاء المعمورة ومدها بالمال والمساعدات الفنية .

وكذلك الشأن فى كل بلد اسلامى ناهض . تكتب الاقلام وتنطق الالسنة وتتعدد الاعمال والانجازات للتمسك بهذا الدين واعلاء كلمته ونشر محاسنه ودعوة الناس اليه ، فالجامعات الاسلامية فى أفريقية واسيا منارات هادية ،

والحفاظ على القرآن الكريم تحفيظا وتلقينا وأداء اتخذ فى هذا العصر صورة مشرفة وحسبك أنك تستطيع أن تدير جهاز الاذاعة فى أى لحظة من ليل أو نهار لتسمع آيات الله تعمل عملها فى القلوب وتترك آثارها فى النفوس .

وليس هذا فحسب فانه وسط القلاع المعادية للاسلام تقوم الجمعيات وتؤسس الاتحادات من المسلمين للدعوة لدين الله الخالد ، ونحيل القارىء على ما نشر فى هذا العدد من جهود اتحاد الطلبة فى أمريكا وكندا .

وقد انتشر الاسلام منذ أول عهده بالكلمة الطيبة ، والدعوة الكريمة الحسنة ، والقدوة المثالية الصالحة فوصل الى أبعد آفاق الارض عن منبته الاصلى (مكة المكرمة) ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا من أقاصي آسيا وأدغال أفريقيا ، واستراليا ، وبلاد الامريكيتين بعد اكتشافهما حمله الى هناك تجار مسلمون ورواد آمنوا بربهم وزادهم هدى ، كما لا يزال يحمله فى بقاع الجنوب السائحون المؤمنون وطلاب العلم والتجار أيضا .

وكل العوامل ، والاحوال العالمية التى تظل البسيطة الآن، وما يعترى مجتمعاتها من اضطرابات نفسية ، وفقدان للسعادة القلبية ، وبعد عن الراحة والرحمة المستمدة مما نزل به الروح الامين على قلب خير المرسلين ـ كل ذلك ـ سيدعو الناس حتما الى اللجوء الى الله تعالى والبحث عن المسكنات لجنون الذرة وايقاف التسابق في التسلح، والقضاء على التفريق العنصرى وسوف لا يجدون البرد والراحة والاطمئنان وهدوء البال مشفوعا كل هذا بسلام دائم الا فى الاسلام وقواعده فهو وحده البلسم الشافى الذى يعالج أزمة الضمير العالمي ، ويستل السخائم من النفوس ويوارى الاحقاد ، ويقضي على كل ما يعكر صفو الانسانية لان مصدره العليم الحكيم القائل (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) صدق الله العظيم .

والخلاصة

ان سيدنا محمدا هو رسول الله ولا شك وهو خاتم النبيين دون ريب، وأن القرآن والدين كله محفوظ الى أن تقوم الساعة ، ونسأل الله أن يقيض للمسلمين الخير ويجمعهم على كلمة الحق ويقرب ما بينهم ويحقق فيهم قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم) .

وأسأل الله جلت قدرته أن يبصرهم بقوله تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) انه هو السميع العليم نعم المولى ونعم النصير والصلاة والسلام على رسوله وآله أولا وآخرا والحمد لله رب العالمين .

مناهج التفكير في الشريعة الإسلامية

صورة من الخلاف المنهجي

ابن حزم الظاهرى الاندلسي المتوفي سنة ٤٥٦ هـ ، وابن قيم الجوزية الحنبلى المتوفي سنة ٧٥١ هـ ، كلاهما فارس مغوار من جهابذة الفقه الاسلامي وأعلامه الذين يفخر بهم تاريخ الاسلام .

اشتغل كل منهما بمختلف العلوم الاسلامية ، التي لها تأثير على الفقه والاستنباط ، أو التي تشترط فى تكوين الفقيه المستنبط ، وألف كل منهما فى الفقه وأصوله على طريقة الدرس والتحليل والاستقلال الفكرى . وكل منهما يمتاز بالقدرة على التعبير والتقرير ،وطول النفس فىالمناقشة والجدل والتحليل ، وتجد ذلك واضحا فىكتابى ((الاحكام)) و ((المحلى)) لابن حزم ، وفى كتب ابن القيم وفي مقدمتها كتاب ((أعلام الموقعين)) .

وأحب أن أقف قليلا عند كتاب « أعلام الموقعين » لأفيد القراء فائدة هامشية فى تحقيق عنوانه ، قبل أن أدخل فى موضوع هذا المقال .

وذلك أن بعض الناس يقرأ هذا العنوان . ((أعلام الموقعين عن رب العالمين)) ـ بكسر الهمزة فى كلمة ((أعلام)) ، وهذا خطأ ، والصواب هو ((أعلام الموقعين)) ـ بفتحها ـ وذلك لأنه ألف هذا الكتاب وبداه بذكر أعلام أهل الفتيا ، وهم الموقعون عن الله تعالى، وهو على تشبيههم بمن يوقع على الكتاب الذى يرفع اليه بجملة أو بكلمة تفصح عن رأيه فيما جاء بهذا الكتاب أو هذا العرض ، فالخلفاء والولاة ترفع اليهم ظلامة ، أو مثل ما نسميه بالمذكرة ، فيوقع أحدهم عليها ، أى يذيلها برأيه أو بأمره ، وذلك معروف لأهل العلم بتاريخ أدب اللغة العربية ، حيث يعتبرون التوقيعات بابا من أبواب الأدب العربي ،

في أصول التشريع

بين ابن حزم وابن القيم

للشيخ محمد محمد المدنى

تعتمد البلاغة فيه على الايجاز والتركيز ، فيقولون مثلا :

تظلم احد أولياء المأمون اليه فى أمر ، فوقع على التظلم بقوله . « من علامات الشريف أن يظلم من فوقه ، ويظلمه من دونه ، فأى الرجلين أنت ؟ » .

ومن توقيعات جعفر بن يحيى فى قصة رجل ادعى النصيحة له ، فوشى ببعض أصحابه ، فكتب جعفر « بعض الصدق قبيح » ـ أى فى الوشاية .

ووقع أيضا جعفر بن يحيى فى قصة مستمنح قد كان وصله مرارا « دع الضرع يدر لغيرك كما در لك » .

فابن القيم اعتبر المفتين موقعين عن رب العالمين ، على ما يرفع اليهم من الاستفتاءات ، فكل منهم يذكر الحكم فيما استفتى فيه ، وهو فى ذلك لا يصدر عن رأيه وحكمه ، ولكن يصدر الفتوى والحكم باسم الله ، وبالنيابة عنه أى عن شرعه ودينه ، اذ المفتى انما هو مبلغ عن الله ، متحدث بالحكم الذى يعلم أن الله حكم به .

أما قول بعضهم « أعلام الموقعين » ـ بكسر الهمزة ـ فلا معنى له يمكن قصده بهذا الكتاب ، فهو لا يعلم الموقعين بشيء عن رب العالمين ، أى لا يفيدهم بشيء يتعلق بصفات الله مثلا ، وهو أيضا لا يضع نفسه موضع من يعلم المفتين قواعد الفتوى وأصولها .

هل الأصل الاباحة أو التحريم

بعد هذا نعود الى ما بدأنا به فنقول :

لقد تحدث كل من « ابن القيم » و « ابن حزم » عن القاعدة التي ذكرناها فى مقالنا السابق « **هل العقود والمعاملات على أصل الاباحة ، حتى يعلم النص على تحريمها ، أو هى على التحريم حتى يعلم النص على اباحتها أو ايجابها ؟** » .

وقد التزم ابن حزم بالثاني ، والتزم ابن القيم بالأول . ولكى يرى القراء صورة من صور الخلاف بين الائمة فى الأصول التي تنبنى عليها مناهج التفكير ، نعرض فى هذا المقال رأى كل من هذين العالمين الجليلين ، وما استدل به من أدلة أو واجه به أدلة مخالفيه ، ثم نعقب برأينا .

رأى ابن حزم

فأما ابن حزم فقد تناول هذا الموضوع فى أول الجزء الخامس من كتابه «الاحكام» حيث يقول فى ص ٦ من هذا الجزء .

« وأما العقود والعهود والشروط والوعد ، فان اصل الاختلاف فيها على قولين لا يخرج الحق عن أحدهما ، وما عداهما فتخليط ومناقضات لا يستقر لقائلهما قول على حقيقة .

فأحد القوانين المذكورين : أنها كلها لازم حق الا ما أبطله منها نص، والثانى : أنها كلها باطل غير لازم الا ما أوجبه منها نص ، أو ما أباحه منها نص .

هكذا صور ابن حزم الخلاف وحدده ، ثم ذكر أدلة الرأيين، ورجح الرأى الثانى، وهو أن كل العقود والشروط والعهود والوعود باطلة الا ما جاء نص باجازته باسمه .

ويترتب على نظرية ابن حزم هذه أن المسلمين لا يجوز لهم أن يتعاملوا الا بما ورد عن المشرع جواز التعامل به ، فمثلا أنواع الشركات التجارية التي عرفها الفقهاء نقلا عن المشرع ، هي فقط فى نظر ابن حزم التي يجوز التعامل بها ، وليس للناس أن يستحدثوا أى نظام جديد فى الشركات لم يأذن به الله ، وهو بذلك يجعل أفراد الأمة متعبدين بنظام معين فى هذا الجانب ، ليس لهم أن يتجاوزوه ، كما هم متعبدون بنظام معين فى الصلاة مثلا ، أو فى الوضوء ، أو فى الحج ، الى غير ذلك من أنواع العبادات .

ويدلل ابن حزم على صحة نظريته هذه بأدلة منها :

أن الله تعالى يقول « اليوم أكملت لكم دينكم » ويقول : « ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » ويقول : « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها » .

وفى الحديث الصحيح . « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب عشية فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « أما بعد فما بال أقوام يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله . ما كان من شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل . ولو كان مائة شرط . كتاب الله أحق . وشرطه أوثق » .

فهذه الآيات وهذا الخبر براهين قاطعة فى ابطال كل عهد وكل عقد وكل وعد وكل شرط ليس فى كتاب الله الأمر به، أو النص على اباحة عقده، لان العقود والعهود والاوعاد ـ أى الوعود ـ شروط ، واسم الشرط يقع على جميع ذلك .

ومنها أن كل شرط أو عقد ليس فى النصوص ايجابه ولا الاذن فيه ، فانه لا يخلو من أحد وجوه أربعة : اما أن يكون صاحبه قد التزم فيه اباحة ما حرم الله ورسوله ، أو تحريم ما أباحه ، أو اسقاط ما اوجبه ، أو ايجاب ما أسقطه ، ولا خامس لهذه الاقسام، فمن ملك المشترط والمعاقد والمعاهد جميع ذلك ، انسلخ من الدين ، ومن ملكه البعض دون البعض ، فهو متناقض يسأل . ما الفرق بين ما يملكه من ذلك وما لم يملكه ، ولن يجد الى هذا الفرق سبيلا .

رأى ابن القيم

وأما ابن القيم فقد تناول هذا الموضوع فى أوائل الجزء الثاني من كتابه « أعلام الموقعين » حيث يقول فى ص ٣٤ من هذا الجزء :

الخطأ الرابع لهم اعتقادهم أن عقود المسلمين وشروطهم ومعاملاتهم كلها على البطلان حتى يقوم دليل على الصحة ، فاذا لم يقم عندهم دليل على صحة شرط أو عقد أو معاملة استصحبوا بطلانه فأفسدوا بذلك كثيرا من معاملات الناس وعقودهم وشروطهم بلا برهان من الله ، بناء على هذا الاصل ، وجمهور الفقهاء على خلافه ، وأن الاصل فى العقود

والشروط الصحة الا ما أبطله الشارع أو نهى عنه ، وهذا القول هو الصحيح فان الحكم ببطلانها حكم بالتحريم والتأثيم ، ومعلوم أنه لا حرام الا ما حرمه الله ورسوله ، ولا تأثيم الا ما أثم الله ورسوله به فاعله ، كما أنه لا واجب الا ما أوجبه الله ، ولا حرام الا ما حرمه الله ، ولا دين الا بما شرعه .... وما سكت عنه فهو عفو » .

وهكذا نرى ابن القيم يستصحب قاعدة الاباحة الاصلية ، فيما لم يرد نص بتحريمه أو حله ، فيعتبره «عفوا» يجوز فعله .

ومع ذلك نرى ابن القيم يتجه الى أخذ الطريق على ابن حزم ومن يرى رأيه ، فيقول بأن النصوص قد صرحت بأن العقود والشروط والمعاملات على الاباحة فيما عدا ما حرمه الله ، بل ان الله تعالى يأمر بالوفاء بالعقود والعهود كلها اذ يقول : «وأوفوا بالعهد» ، ويقول : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » « والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون » « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا » الى غير ذلك من الآيات ، وفى صحاح الاحاديث . « ان من علامات المنافق . اذا حدث كذب . واذا عاهد غدر . واذا وعد أخلف » وأنه « يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته ، فيقال : هذه غدرة فلان بن فلان » الى غير ذلك من الأحاديث .

فابن القيم كأنه يقول لابن حزم . على رسلك فنحن نؤمن كما تؤمن بآية « اليوم أكملت لكم دينكم » ونقول ان الدين الذى أكمله الله يأمر بالايفاء بالعقود كلها الا ما حرم الله ، ونحن نؤمن كما تؤمن بصدق قوله تعالى « ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » ولكن الذى يعمل بمقتضى الامر بايفاء العقود والعهود الا فيما حرم الله ، لا يكون متعديا حدود الله .

ثم يقول لابن حزم فى شأن ما استدل به من قوله صلى الله عليه وسلم « ما كان من شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل » .

يقول له : نعم هذا صحيح ونحن نسلم به ولا يسعنا ان ننكره ، « ولكن هذا انما يعرف بعد معرفة المراد بكتاب الله فى قوله « ما كان من شرط ليس فى كتاب الله » ومعلوم أنه ليس المراد به القرآن قطعا ، فان اكثر الشروط الصحيحة ليست فى القرآن ، بل علمت من السنة ، فعلم أن المراد بكتاب الله حكمه ، كقوله تعالى : « كتاب الله عليكم »، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « كتاب الله القصاص»ـ فى كسر السن فكتابه سبحانه يطلق على كلامه وعلى حكمه الذى حكم به على لسان رسوله ، ومعلوم أن كل شرط ليس فى حكم الله فهو مخالف له فيكون باطلا ، فاذا كان الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قد حكم بأن « الولاء للمعتق » فشرط خلاف ذلك يكون شرطا مخالفا لحكم الله ، ولكن اين فى هذا أن ما سكت عن تحريمه من العقود والشروط يكون باطلا حراما ، وتعدى حدود الله هو تحريم ما أحله الله ، أو اباحة ما حرمه ، أو اسقاط ما أوجبه ، لا اباحة ما سكت عنه وعفا عنه ، بل تحريمه هو نفس تعدى حدوده » .

ثم يرد ابن القيم على ابن حزم فيما ذكره من تضمن الشرط الذى ليس فى كتاب الله للامور الاربعة المحظورة فيقول له : « لقد فاتكم قسم خامس ـ غير الاربعة ـ وهو الحق ، وهو ما أباح الله سبحانه للمكلف من تنويع احكامه بالاسباب التي ملكه اياها ، فيباشر من الاسباب ما يحله له بعد أن كان حراما عليه ، أو يحرمه عليه بعد أن كان حلالا له ، أو يوجبه بعد أن لم يكن واجبا ، أو يسقطه بعد وجوبه ، وليس فى ذلك تغيير لاحكامه سبحانه فهو الذى أحل وحرم وأوجب وأسقط ، وانما الى العبد الاسباب المقتضية لتلك الاحكام ليس الا ، فكما ان شراء الامة ونكاح المرأة يحل له

ما كان حراما عليه قبله ، وطلاقها وبيعها بالعكس يحرمها عليه ويسقط عنه ما كان واجبا عليه من حقوقها ، كذلك التزامه بالعقد والعهد والنذر والشرط ، فاذا ملك تغيير الحكم بالعقد ملك تغييره بالشرط الذى هو تابع له ، وقد قال تعالى « الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » فأباح التجارة التي تراضى بها المتبايعان ، فاذا تراضيا على شرط لا يخالف حكم الله جاز لهما ذلك ، ولا يجوز الغاؤه ... ومحرم الحلال ، كمحلل الحرام » .

هذا وابن القيم يفرق بين العبادات والمعاملات ، فيرى أن الأصل فى العبادات عدم المشروعية حتى يتبين أنها مطلوبة مشروعة ، أما المعاملات فالأصل فيها كما بينا الاباحة حتى يتبين أنها ممنوعة محظورة وقد شرحنا الفكرة فى ذلك شرحا وافيا من قبل .

أما ابن حزم فلا يفرق فيما ذهب اليه بين العبادات والمعاملات ، فكلها فى قاعدته سواء . لا يجوز الحكم بمشروعية شيء منها الا اذا علمت هذه المشروعية عن الله أو رسوله ، ولذلك نراه يسائل من يناقشهم فيقول « ... ونسألهم عمن التزم صلاة سادسة ـ أى غير الصلوات الخمس المشروعة ـ أو حجا الى غير مكة ، أو فى غير أشهر الحج ، وكل هذه الوجوه تعد لحدود الله ، وخروج عن الدين ، والمفرق بين شيء من ذلك قائل فى الدين بالباطل » .

مع ابن القيم

بعد هذا نبدى رأينا فى هذا الخلاف ، فنقول :

ان كلا من الفريقين ـ الفريق الذى يمثله ابن حزم ، والفريق الذى يمثله ابن القيم يقرر أنه لا يجوز لأحد أن يأتي الى عبادة شرعها الله فيسقطها ويزعم أنها غير مشروعة ، كما لا يجوز لأحد أن يشرع عبادة لم يشرعها الله تعالى .

وكلا الفريقين لا ينازع فى أنه اذا كان هناك حكم من الله أو رسوله فى شيء من الأشياء ، أو فى معاملة مسماة معهودة ، فلا يسوغ لمسلم أن يخرج على هذا الحكم فيحرم ما أحله ، أو يحل ما حرمه .

انما الكلام فيما سكت عنه الشرع فلم ينص فيه على حكم بالحل أو بالحرمة ، ولم يدخل فى عموم بالتحليل أو التحريم عرف عن الشارع ، سواء أكان ذلك من قبيل الاشياء والذوات ، أم من قبيل الحقائق المركبة على سبيل المواصفة والمواضعة ، من كل ما يقع عليه التعاقد ، وتتصل به الشروط والالتزامات بين الناس .

وهذا أمر قد فصل فيه كل من الكتاب والسنة . فالله سبحانه وتعالى ينص على أنه عفا عن أشياء فيقول ((عفا الله عنها)) وقد قال العلماء : ان معنى ذلك أن ما لم يذكره الله فى كتابه فهو مما عفا عنه ، اى سكت عنه وتركه ، فليسكتوا عنه كما سكت الله عنه ، وليعلموا أن فى ذلك توسعة عليهم ، وفتحا لمجال النظر والفهم وتطبيق الأمور على حسب المصالح ، وما يكون من اختلاف الظروف والبيئات ، وفى الحديث الشريف : ((ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها . ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها . وحدا حدودا فلا تتعدوها . وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها)) وفيه أيضا ((ما أحل الله فهو حلال . وما حرم فهو حرام . وما سكت عنه فهو عفوه . فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن لينسى شيئا)) ـ أخرجهما الطبراني عن أبى الدرداء وأبى ثعلبة بسند حسن ـ وليس بعد كلام الله ورسوله كلام لأحد .

بقية : احاطة القرآن بالفطرة

ووردت مادة فطر على صيغة اسم فاعل مضافا الى السموات والأرض ، فى الآيات التي وردت فيها المادة على هذه الصيغة ، وهي خمس فى خمس سور هي حسب ترتيب نزول الوحي بها . فاطر (الآية الاولى) ، ويوسف (الآية ١٠) والزمر الآية (٤٦) ، والشورى (الآية ١١) ، وابراهيم (الآية ١٠) وفى كل دلالة على الله ومظهر للتوحيد غير ما فى أخواتها ، ومن عجيب الاحكام والحكمة أن المادة لم ترد فى القرآن الحكيم بصيغة المضارع لأن معناها الذى سبق ذكره عن القاموس يحول دون ذلك . فهى تدل على الابتداء والانشاء والبرء وذلك كله قد كان وتم بالفعل . وما تم ابتداؤه وانشاؤه يكون من الخلف والاحالة استعمال مضارع المادة فيه. أما التجدد لا الابتداء غبر عنه بالمضارع فى مواطن كثيرة من القرآن كما فى قوله تعالى (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) فى الآية (١٩) من سورة الروم ، وقوله عز وجل (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون) الآية (٣٧) من سورة يس .

وأمثال هذه الآيات التي ترشد الانسان الى مواطن البحث والنظر فى الفطرة كثيرة فى القرآن . وهي فيه أكثر من آيات الأحكام ومجملها مقابل المجمل من آيات الاحكام . وتفصيل هذه موكل بيانه الى النبي صلى الله عليه وسلم بنص الكتاب وتحت اشراف الوحى كما قد رأينا ـ أما تفصيل الآيات الكونية ، آيات ظواهر الفطرة ، فموكول الى أهل العلوم التجريبية ، كالفلك والطبيعة وما اليهما ، تحت اشراف سنن الله المطردة المتسقة فى الفطرة ، لأن أهل تلك العلوم يتحاكمون دائما الى التجربة العلمية لمعرفة مدى الخطأ والصواب ، فى فروضهم ونظرياتهم التي أدى اليها اجتهادهم فى تفسير الوقائع التي كشف عنها البحث فى كل ميدان من ميادين العلم التجريبي . وهم فى هذا انما يتحاكمون الى سنن الله فى كل ميدان من ميادين الفطرة التي شغل العلماء ببحثها . فالحكم فى ميادين العلم التجريبي هو عين الحكم فى ميادين الدين الاسلامي . هو الله سبحانه فاطر الفطرة ومنزل الدين هدى ورحمة للناس .

وقد أقر الاسلام نتيجة التجريبية العلمية ، فكأنما أقر نتائج العلوم التجريبية كلها . وكيف ؟ على يد رسوله فى حادثة تأبير النخل المشهورة التي أساء أكثر الناس فهم الحديث الشريف فيها « أنتم أعلم بأمور دنياكم » . فظنوا ألا حكم للدين فيها ، مع أن الله قد حكم باقرار سنته فى تثمير النخل التى دلت عليها تجارب الناس المتكررة ، واخلف ظن نبيه ولو شاء لحققه معجزة له . لكن زمن المعجزة الحسية كان قد فات فأهل الحادثة كانوا من المؤمنين وأراد الله أن يشرع للناس فى الاسلام الى أبد الدهر تشريعا عمليا . ألا يخالفوا ما ثبت بالتجربة المتكررة من سننه سبحانه فى الخلف ، كما ثبت حسن اثمار النخل بالتلقيح . فان خالفوا لقوا من الخيبة ما لقى أصحاب النخل الذين عدلوا عن تلقيحها الثابت بالتجربة اتباعا للظن الذى قال الله عنه (ان الظن لا يغنى من الحق شيئا) .

وكون الظن فى الحادثة كان ظن أكرم الرسل وخاتم النبيين أقوى للحكم وأدل على مراد الله من ايجاب اتباع سننه فى الكون التي تثبت فى الروحانيات والاجتماع عن طريق الكتاب والسنة ، وفى عالم غير الانسان عن طريق العلوم التجريبية ، أو التجربة المتكررة عند الناس .

وفى القرآن الكريم تفصيل بعض الاحكام الدينية فى بعض آياته ، يقابلها تحديد فى بعض الحقائق الكونية فى بعض آياته أيضا . لكن المقام لا يتسع لأكثر مما قد قيل . فلنكتف بهذه المقارنة على اجمال فيها . وعسى أن يكون قد تبين بها ، ولو على وجه الاجمال : أن القرآن الكريم محيط بالفطرة احاطته بالدين بالمعنى الذى قرره العلماء الثقات مثل الشافعى وابن رشد ، والأجلاء من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود .

عـــبرة

من تـــاريخـــنا

للاستاذ علي الطنطاوي

كنت أتمنى ألا أحدثكم الا أحاديث المكارم والمفاخر ، ولا أقص عليكم الا اخبار النصر والظفر ولكني رجل مؤرخ ، وحياة الامم كحيوات الافراد ، فيها الصفاء وفيها الكدر ، وفيها الاعراس وفيها المآتم . ولا اكون أمينا على التاريخ ، ولا صادقا فى الرواية ، ولا ناصحا للقارئين ، اذا أريتكم صفاء الماضي دون كدره ، وسردت عليكم مباهجه دون مآسيه ، ولعل العبرة فى الهزيمة أكبر من العبرة بالنصر .

وانا أستجديكم اليوم الدمع ، وأدعوكم الى البكاء لا بكاء ابى عبد الله الصغير الذى ساحدثكم حديثه فهذا بكاء الانذال ، انما اريد بكاء الرجال ، والرجل قد تجيش عاطفته ، ويسيل قلبه دمعا من عينيه ، ثم يمسح الدمعة ، وينسى العاطفة ، ويحكم العقل ، ويمضي الى العمل فلئن ضاعت منا الاندلس (وسترون لم ضاعت) فقد ابقت لنا عبرة ، ولقنتنا درسا .

حديث اليوم عن الفردوس الاسلامي الذى فقدناه ، عن المأساة التي لم ير تاريخنا مثلها ، اللهم الا مأساة فلسطين ، التي ستغدو لنا أن بقينا على غفلتنا وانقسامنا ، اندلسا جديدة ، ولن يكون ذلك ان شاء الله ما دام فى السماء رب عادل ، وعلى الارض شعب مسلم .

الحديث عن ابى عبد الله الصغير ، وعن سقوط الاندلس ، وما هو (مع الاسف) الا اشارات عابرة لتلكم الاحداث الجسام ، وكلمات قليلة عن هاتيكم الفواجع الكثيرة التي ملأت صحف التاريخ اسى وحزنا .

نحن الآن فى أواخر العهد بالاندلس ، فلقد تقلص ذلك المجد المنبسط ، وانزوت تلك الراية التي كانت ترفرف على اسوار طليطلة وقصور قرطبة ، وعلى سيف البحر من المرية الى برشلونة ، والتي جازت جبال البرانس (البيرنة) حتى بلغت قلب فرنسا لقد مضى ذلك كله وانقضى ، فلا امية باقية ، تلوح اعلام قوادها وهي على عرش الخضراء فى دمشق ، أو على عرش الزهراء فى قرطبة ، ولا الموحدون تموج (الزلاقة) بفرسانهم الذين ينتزعون النصر من بين فكى الدهر ، لقد ذهبت الدول الحاكمة القوية ، فناد اليوم لا يلبك القائد عبد الرحمن الغافقي

ولا الامير عبد الرحمن الداخل ، ولا الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ولا يجبك الملك المظفر اسد الصحراء ابن تاشفين . وقد ذهبت الامارات القوية ، فما فى البلاد اليوم مثل الحاجب المنصور ولا مثل ابن عباد ، ما فيها الا امارة صغيرة حقيرة فيها عرش صغير حقير ، نخر سوس الخلاف باطنه ، وهدت فؤوس الاسبان جوانبه ، ولا يزال اهله يتنازعون عليه ، ويتقاتلون من حوله ، عرش بنى الاحمر فى غرناطة .. اتعرفون من اين جاءت هذه الامارة التي كتب الله ان يكون ضياع الاندلس على ايديها ؟ .

كانت دولة الموحدين تحكم البلاد كلها ، والموحدون صحراويون أشداء ، لم تكن الحضارة بترفها قد أفسدتهم يوم اقبلوا ولا المدن بنعيمها ، فكانوا ينامون بمثل عين الذئب ، ويكشرون عن مثل انياب الاسد ، كانوا اسود قفر ؛ فانجحرت منهم الذئاب ، وفرت من امامهم ، فلما ذاقوا متع الحضارة ، واستراحوا الى النعيم صاروا طواويس، فأستأسدت من ضعفهم الثعالب .

وخرج عليهم ابن هود ، فاقتطع لنفسه ما استطاع من بلادهم ، وخرج على ابن هود ابن الاحمر ، فانتزع منه ما قدر عليه من بلاده ، وكان الموحدون فى الاصل خارجين على الامامة العظمى فكانت مملكة بنى الاحمر هذه ، مملكة خوارج على خوارج على خوارج .

ولم ينج ابن الاحمر من امراء كانوا اصغر منه ، فخرجوا عليه ، يشترون منه ملكه برأس ماله ، وكان يحميهم الاسبان الذين كانوا يمدون أيديهم ابدا من وراء ستار ، فيضرمون هذه النار ، فلم يجد وسيلة لاستبقاء لذة الحكم ، الا ان يبيع نفسه للشيطان ، ويخضع للاسبان ، ويجعل من نفسه ملكا على المسلمين ، وتابعا لاعدائهم وكذلك يصنع حب السلطان .

وهذه مصيبتنا دائما ، الانقسام وشهوة الحكم .

ثم تتنبه فى نفسه حمية المسلم ، وتستيقظ عزة المؤمن ، فيقطع حبل مودة الاسبانيين ، وتقوم الحرب بينه وبينهم ، ويعينه ملوك المغرب بجامع الاخوة الاسلامية التي لا تنفصم قط عراها ، فينتصر عليهم .

ويتسلسل الملك فى اولاده ، الى العهد الذى احدثكم حديثه ، حين يقوم النزاع على هذا العرش الصغير الذى لا يستحق ان يتنازع عليه غريبان ، فضلا عن ان يتقاتل من اجله اخوان ، ابو عبد الله الكبير المعروف بالزغل ، وابو الحسن والد ابى عبد الله الصغير ، وغلب الاول على الملك ، وان كان الثاني اقوى واحزم وابرع واحكم ، واستهوته حلاوة هذا العسل ، فانسته السم الكامن فى قرارته ، وحمات النحل التي تحوم من حوله ، وغرق فى لذائذه . وكانت له زوجة شريفة عفيفة من بنات عمه اسمها عائشة ، هي ام ولديه محمد وهو ابو عبد الله الصغير ويوسف ، فتركها وعشق فتاة اسبانية بارعة الجمال فاتنة الحسن وارتكب جريمة مثلثة اللعنات .

١ ـ حكمها فى نفسه وقصره ، واطلعها على دخيلته وسره هي وقومها الاسبان اعداؤه واعداء بلاده ودينه .

٢ ـ وظلم من أجلها زوجته الشرعية وجافاها واذلها .

٣ ـ ثم عمل مالا يعمله رجل شريف ،

فحبسها هي وولديها فى البرج وبقيت الحمراء كلها لهذه الاسبانية تمرح فيها هي وأعوانها وتكيد للعرش وصاحبه ، وتخدم قومها الاسبانوهى محمية بعرش الملك المسلم .

وكانت هذه السيدةعائشةامرأة قادرة داهيـة أريبـة فلم ترض لنفسها هـذا المصير ، واعدت العدة للفرار مـن البرج العالي وكاتبت أنصارها ، وهيأتهم للثورة على زوجها، ثم شققت الستائر والملاحف واتخـذت منها حبالا تعلقت بها وولداها وهبطت من البرج .

وبينما كان أبو عبد الله الكبير يقاتـل الاسبان ، ينـازل جيشا لهم جرارا جاء ليقضى على هذه البقية الباقية من دولة العرب فى الاندلس ، كانت عائشة وابنها أبو عبد الله الصغير يقاتلان الملك العربي ، الأب يؤثر لذته على مروءته ويسىء لولده ارضاء لزوجته، والابن يحارب أباه ، وكل ذلك والعدو على الابواب .

هذا العدو الذى لم يكفه ما اقتطع من بلاد العرب ، ولم يكفه ما أراق من دمائهم فهولا يزال لما يرىمن تخاذلهم وانقسامهم وغفلتهم ، يطمع فى القضاء عليهم .

وانتزع ابو عبـد الله الصغير هـذا العرش المنحوس مـن ابيه ، وغلبه عليه ولكن الاسبان جاءوا فأسروا أبا عبد الله الصغير ، وحرموه بر الوالد ، ولذة الحكم

وراحت عائشة تعمل عملها ، تستبيح كل شىء لتنقـذ ولـدها ، لقـد غلبتها عاطفتها فنسيت حقوق الامة وواجبات الدين واحكـام الشرف ، فعرضت على الاسبان معاهدة تخضع البلاد كلها لحكم ملك قشتالة ، ويؤدى أهلها الجزية اليه بعد أن كانوا هـم الذين يأخـذونها منه معاهدة الذل والخزى والعار ، ومع ذلك فقد تدلل الاسبان وأعرضوا ، وشمخوا بأنوفهم لانه لم يعد يرضيهم وقد رأوا العرب يفقدون سلائق آبائهم ، ؟ وبطولات ماضيهم الا أخذ كل شىء . ولم يطلقوا أبا عبد الله الصغير من الاسر الا بعد ثلاث سنين . ودفعت البـلاد حريتهـا ثمن حريته ، وبذلت كرامتها وحياتها ليتربع على عرشه ـ وعاد وعاد معه الانقسام ، وانشطرت البلاد الاسلاميةشطرين شطر تبع هذا الملك الذى باع نفسه للشيطان كما فعل جده من قبل ، فكان ملكا على المسلمين وعبدا للاسبان ، وشطر بقىعلى الولاء لعمه أبى عبد الله الكبير .

ووقعت الحرب الاهلية،واعان الاسبان صنيعتهم وتابعهم، فطرد عمه وانفرد على هذا العرش الملطخ بالاوضار .

ورحل أبو عبد الله الكبير الى المغرب وكان بطلا مجربا وقائدا حازما اريبا ، ورأى الاسبان انه لم يبق فى الميدان الا هـذا الشاب الضعيف ، أبو عبـد الله الصغير ، فقرعوا طبول الحرب ، واعلنوا أن قد ازفت ساعةطرد العرب من اسبانيا

وكانت عائشة قد أغضبت الله لترضى الاسبان ، والبست قومها الذل والعار ، ليستمتع ابنها بهذه اللعبة الحلوة التي اسمتها (العرش) فلم تستبق العرش . ولا رضا الاسبان .

وكانت المعركة الاخيرة ، وبدأ الهجوم الغادر على القرى المسلمة فى الضواحى فكان منهـا أمثال « دير ياسين » وورد اللاجئـون بالآلاف المؤلفة على غرناطة ، وهاج الناس وماجـوا يفتشـون عـن القائد . والمسلمون مهما قل عددهم ، ونضـب موردهـم وسـاءت حالهـم ، وانقطع مددهم ، لا يفقدون بطولتهم ما داموا يجدون القائـد الذى يقودهم فى المعركة الحمراء ـ فلما ظهر هذا القائد

وكان البطل الفارس المغوار موسى بن ابى الغزان ورفع لهم لواء الجهاد ، وسل سيف القتال ، عصفت فى رؤوسهم نخوة العروبة ، وغلت فى دمائهم عزة الايمان واقدموا يدافعون ، ولولا ضعف أبى عبد الله الصغير، ولولا هذه الحاشية حاشية السوء ، ولولا الانقسام وتدخل النساء فى شؤون الملك ، لبدأت هذه الفئة المجاهدة ، عهدا جديدا فى تاريخ الاندلس ، قد يمتد قرونا أخر ، وما كان طارقا يوم هبط هذه الجزيرة ، أقوى عدة ولا كان أكثر عددا ، ولكن كان جنده اشد اتفاقا وطاعة ، واكثر ايمانا .

لقد ابدى موسى وهؤلاء الابطال المجاهدون من ضروب البطولة ، والوان التضحيات ، ما لم يعرف التاريخ أعظم منه روعة ، واكثر جلالا ، لكن كانت لله ارادة فى العرب والاسبان ، فلم يكن لهذه التضحيات وهذه البطولات ثمرة تقطف من رياض النصر . لقد قر رأى هذا الملك الضعيف العاجز وحاشيته على التسليم وكانت الهدنة .

وعقدوا معاهدة جديدة مع الاسبان ونسوا أنهم كلما عاهدوا عهدا نقضوه . معاهدة ظنوا انهم سيحفظون بها للعرب املاكهم وحريتهم فى دينهم ودنياهم ، فلم يكن منها الا ما حدثكم التاريخ ، وقص عليكم الرواة .

وتلفتوا يفتشون عن نصير ، فلم يجدوا نصيرا ، واستجاروا باخوانهم المسلمين فلم يلقوا مجيرا، وكان آل عثمان فى اوج سلطانهم، يحكمون مابين خراسان واسوار فينا ، ولكن لم يلتفت اليهم السلطان سليمان عاهل آل عثمان ، رغم الصرخة القوية التى أطلقها الشاعر الاندلسي ، فدوت فى أرجاء الارض ولا تزال تدوى فى أجواء الزمان .

وخرج الملك المسلم ، سليل الابطال ، ليضع بين يدى عدوه امانة القرون التى انتهت اليه ، ليلقى على قدميه بكرامة المسلمين وامجادهم ، ليفتح له عاصمة ملكه ، ويبيحه أبهاء الحمراء ومقاصرها. فلما تلاقيا هم بان ينزل عن فرسه ، مترجلا امام فرد ينند، فمنعه من الترجل وتقبل خضوعه واستخذاءه ، ثم حمله الى زوجته ايزابيلا فقدم اليها طاعته وولاءه . وسلمها مفاتيح غرناطة .

وختم هذا السفر الضخم الذى ملاناه مجدا وفضيلة وعلما ، فكانت خاتمته الخزى والعار ، وهكذا تقوض هذا الصرح الذى اقمناه على جماجم ابطالنا ، ونضحنا عليه دماء شهدائنا ، ثم هدمناه بمعاول التفرق والانقسام ، وشهوة الحكم وانتهاب اللذات ، وهكذا انتهت فى لحظة حياة ثمانمائة سنة عاشها العرب فى الاندلس جعلوها فيها شعلة نور ، وروضة زهر وثمر ، على حين كانت اوربة صحراء موحشة ، تائهة تحت سجف الظلام .

وبكى أبو عبد الله بكاء الجبان الذليل فصرخت أمه عائشة : ابك مثل النساء ملكا لم تحافظ عليه مثل الرجال .

ومشى أبو عبد الله حتى اذا بلغ تل غرناطة ، وقف وتلفت ينظر من بعيد الى شرفات القصر الذى كان منزل آبائه وملعب صباه وعرش ملكه فصار لعدوه.

فهو لن يدخل أبهاءه مرة ثانية ولن يمرح فى جناته ، ولن تكتحل عينه برؤية الماء يفور من نوافيره ولن يصافح انفه ريا عبيره .

وأدار رأسه ، ومشى الى الامام يستقبل الآتى المجهول . وغابت عن عينيه ابراج الحمراء الى الابد .

صدق المعرفة ووحدة الوجود

درجات المؤمنين فى معرفة الله متفاوتة الى حد بعيد .

ولا تقبل هذه المعرفة ـ ابتداء ـ الا اذا كانت صحيحة ، مطابقة للواقع .

فاذا شاب هذه المعرفة جهل فاضح كالشرك أو التجسيد ردت في وجه صاحبها ولم تغن عنه شيئا ....

والمعرفة الصحيحة مراتب ، فالذى يعرف ربه معرفة واضحة غير الذى يعرفه معرفة غائمة .

ووضوح الرؤية للغاية المنشودة شىء آخر غير الاندفاع باحساس غامض ونظر مختلط .

والمعرفة العميقة غير المعرفة السطحية ، الاولى تبقى على اختلاف الظروف والاخرى قد تهتز مع الاختبارات العارضة .

والمعرفة الآلفة المستمرة غير المعرفة العابرة المارة .

فقد تعرف انسانا معرفة جيدة ، وتنشغل عنه بأمور كثيرة أو قليلة ، وقد تعرف آخر معرفة صحبة واستقرار ..

والذى يعرف ربه كلما شعر بحاجة اليه ، فاذا انتهت حاجته شغلته نفسه ، غير الذى أنشأ علاقة مع ربه يتعهدها بالتحبب والتردد على ساحته ، فهو موال له معتز بصلته .

والمعرفة الموقنة الناشطة التي تجعل المؤمن يسارع فى الخيرات ، وينهض بالتكاليف غير المعرفة الكسول الوانية التي يصحبها التفريط فى الواجب أو استثقال أدائه .

والمعرفة العاصمة من الدنايا الكابحة للجماح غير المعرفة المنهزمة أمام النزوات ..

والمعرفة المورثة للتوكل على الله فى مواطن القلق والفزع .. غير المعرفة التي تجعل المرء ضارعا للخلق ذليلا أمام أصحاب الحول والطول ..

للشيخ محمد الغزالى

ان الايمان يزيد وينقص ، وآثاره فى النفس والحياة تمتد وتنكمش .

والزيادة والنقصان ليسا فى أصل المفهوم العقلى ، وانما فى كمه وكيفه فالصوت من الفم العادى يتضاعف ألف مرة عندما يمر بمذياع ضخم البوق بعيد الصدى .

والايمان فى بعض النفوس قد يتحول الى حياة تصبغ الشعور والفكر وتهيمن على الحركات والسكنات ، وتجعل صاحبها فى نهار دائم من الأنس بالله والف عظمته .

ومن ثم لا يتفاضل المسلمون فى أصل عقيدة التوحيد . وانما يتفاضلون فيما يبلغه التوحيد فى نفوسهم من أبعاد وآماد .

ومن الجور أن نسوى بين العميق والضحل والمتين والضعيف ..

وأقدار المؤمنين عند الله وحظوظهم من مثوبته تتبع درجات ايمانهم على ما شرحنا ...

واكتمال الايمان يوصل اليه بعد جهاد طويل ، ورياضة متصلة ...

ومن الخير أن نعترف بمدخل العناية العليا فى هذا المضمار ، فان الفالحين يفرسون جميعا لكن حصيلة الثمر فى كف القدر .

وما من جهد يذهب هدرا ، حاشا لله ، فهو القائل « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » .

والمشكلة ليست فى أن الله جل جلاله يثيب من قصده .. فهو مثيب مجيب .

وانما الذى يجب أن يعرف بحسم أن العبد فى هذا الميدان محتاج الى سعة الفضل لا الى ضمان العدل .

وأن ما يأخذه ان كان أجرا على عمل فلن يعدو المرء مكانه ، أما ان كان تطولا من ذى الجلال والاكرام « فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم . يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

ولذلك لا يسبق الا فقير متجرد من الدعوى ، متعرض للمنحة ، متطلع الى عطاء المنعم الواسع تبارك اسمه .

واذا أحب الله انسانا رطب بذكره لسانه وأنعش به جنانه ويسر له ما يرده اليه ان بعد ، وما يقيمه على الصراط ان شرد .

والدرب الموصل الى الله قد تكفل الاسلام بوصف مراحله ومعالمه ، فليس هناك شيء وراء كتاب الله وسنة رسوله .

الا أن عواطف الايمان قد تهيجها عواطف مشابهة وان اختلف سببها ، وهذه طبيعة البشر اذا غمرهم شعور ما ، فان هذا الشعور قد يجيش فى جوانحهم بعد سكون لأبعد المثيرات .

وتأمل كيف يبكى متمم بن نويره أخاه مالكا .

وقال أتبكى كل قبر رأيته
لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له ان الشجا يبعث الشجا
فدعنى فهذا كله قبر مالك ..

وجيشان العواطف المؤمنة عند جمهور العارفين هو الذى جعلهم ينقلون الى ميدان الحق معانى قيلت ابتداء فى مواقف تافهة وصغيرة .

ومن هنا ناجوا الله بقول الشاعر .

ان بيتـــا أنـــت ســـــاكنه
غـــير محتـــاج الـى السـّرج
وجهـــــك المأمـــول حجتنـــا
يـــوم يأتـــي النـــاس بالحجـج

وهي أبيات من قصيدة فى الغزل ....

وكذلك ناجوا الله بقول الشاعر .

فليتـــك تحلو والحيـــاة مريـــرة
وليتـــك تصـــفو والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينـك عامـر
وبيني وبـين العالمـين خـــراب
اذا صح منـك الود فالكل هـين
وكل الذى فوق التـراب تـراب

وهي أبيات قيلت فى مدح سيف الدولة ..

والحق انه كثير عـلى بشر أن يخاطب بهـذه المعانى ، فالله جل شأنه أولى من يناجى بها ..

ولا نريد أن نقف عند تلك الخطرات بل يهمنا أن نصف حقيقة العبودية التىتنضح بهذه المعانى، أو تتجاوب معها ، وحســبنا فى ذلـك الكتاب والسنة ..

ان القرآن الكريم ينقل الايمـــان من ميدان التصورات النظرية المعزولة الى ميدان الشعور الحى المأنوس الواقع ...

ففى مجالسنا حيث نسمر ، أو نجد يجب أن نعد بين الحضور رب العالمين « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا » .

وهذا الاحساس بالحضور الآلهى له نتائجه من رغبة ورهبة . والله جل شأنه يريد أن نشعر بهذه الهيمنة الشاملة ، وأن نحسب حسابها فيما نفعل ونترك « وما تكون فى شأن وما تتلو منه مـن قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه .. » .

وفى الخريف الماضي كنت جالســا وحدى فى حديقة تحت احدى الشجرات ، فســقطت على ورقة جافة ، فتلفت فى مكاني انظر هنا وهناك وعلى لساني قوله تعالى « وما تسقط من ورقـــة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض .. » .

قلت لنفسي ان الله ، يعلم بســقوط هذه الورقة الآن ..

وقلبتها بين أصابعى أتأمل فى ظهرها وبطنها ، وأتفرس فى شبكة العروق اليابسة المنتشرة بـــين الوسط والأطراف .

ومددت بصرى فاذا أوراق كثيرة ســـاقطة ، ووجدت أنى ان استطعت عد هذه الأوراق الكبيرة فمن المستحيل أن أعد الأوراق الصـــغيرة تحت الشجيرات الأخرى ..

قلت ذلك وأنا بين بضع شجيرات فى بقعـة لا تذكر من أرض الله ، فكيف بما تنفضه رياح الخريف فى القارات الخمس ؟ .

ثم قلـت وعلم ذلك أن أعيى العادين فى عصر واحد لكثرته الهائلة ، فكيف باحصاء ما تساقط على مر القرون من بدء الحياة الى منتهاها ؟ .

وأخذتني حيرة وروعة وأنا أتابع سلسلة هذه الصور ، ثم وأنا أمسك مرة ثانية بالورقة الجافة وأتساءل . كيف نسجت مادتهـا وكيـــف تمت صباغتها ..

ان الخضرة فى وجهها هذا غير الخضرة فى وجهها الآخر ، ثم ان أطراف الورقة مزخرفة بمنحنيات متناسقة كثيرة .....

وستعود هذه الورقة طينا وتنبثق من ظلمات الأرض مرة أخرى ورقة ناضرة يانعة ... وهي فى كل آن من هذه المراحل فقيرة الفقر كله الى الخالق المصور الذى يتولى ايجادها .

ايجادها وحدها ؟ كلا بل الألوف المؤلفـــة ، والالوف المؤلفة في كل بستان وحقل ، كان أو يكون .

وعدت أقرأ الآية كلها من جديد « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها .. » .

والقرآن الكريم مشحون بالمشاهد التي تعلـم الناس « مقام الاحسان » والتي تدرجهم فى مراتب العبودية على مقدار طاقاتهم العقلية والنفسية ..

والفقيه فى سيرة صاحب الرسالة صلوات الله عليه وسلامه يدرك أنه بلغ فى عبوديته لله مدى من الاستغراق والاشراق تنقطع دونه همم الخلائق كافة ...

وسنلمح الى ذلك فى مقال تال .

والأساس العقلى للشعور بوجود الله يقوم على ما تقرر فى علم التوحيد من أن اقسام المعلوم ثلاثة « واجب » « ومستحيل » « وممكن » .

فالواجب يستحق الوجود فى ذاته ولا يتصور عدمه .

والمستحيل يستحق العدم من ذاته ولا يتصور وجوده .

والممكن مالا يستحق من ذاته عدما ولا وجودا : وانما وجوده ان وجد ، من واجب الوجود وحده.

والعالم كله ، ما نعرف منه وما لا نعرف ، ما نبصر ومالا نبصر ، من هذا القسم الاخير .

حياته عارية من غيره ، تستوى فى ذلك الجراثيم التى تسكن الوفها المؤلفة رأس ابرة ، والكواكب التى تتهادى فى دارات الفضاء بين شروق وغروب، انها جميعا تستعير وجودها وحراكها ونظامها من الله « الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » ..

والشعور بهذه الحقيقة العلمية تجاوب مع الواقع الذى لا ريب فيه .

ولعل ذلك ما أوحى بهذه الابيات التى جرى بها قلم مؤلف لا أذكر اسمه .

الله قل ، وذر الوجود وما حوى
ان كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله ان حققته
عدم على التفصيل والاجمال
من لا وجود لذاته من ذاته
فوجوده فى الحق محض خيال

ونحن نزكى هذا الاحساس لكنا نلفت النظر الى شطط يعتريه ويفسده .

فمن حق الله الا نغفل عن وجوده ، ومن حقه أيضا ألا نجحد أو نجهل ما أوجد .

بل اننا لن نعرف الله المعرفة الصحيحة الا اذا درسنا العالم الذى خلقه واودع فى تضاعيف هذا الخلق دلائل عظمته ، ومعانى أسمائه الحسنى .

والايمان الذى دعا اليه القرآن الكريم هو ثمرة الدراسة الواعية للكون الكبير وما انبث فى جوانبه من أحياء ...

انك تستطيع أن ترى الله فى كل شىء ، أى تستطيع أن ترى قدرته وابداعه ومجده ، وتستطيع أن تلمح أنه القيم على كل شىء ، فى أغوار الارض وابعاد السماء .

عندما أعلن الاحصاء الاخير لسكان الارض ساورنى خاطر محدود .

هناك أكثر من ثلاثة آلاف مليون انسان يعيشون على ظهر هذه الكرة ، قلت لنفسى . ان الله من وراء ثلاثة آلاف مليون عقل يجرى فيها تيار الفكر بطيئا أو قويا ، ترى فيم يفكر كل واحد من هؤلاء ؟

ومن وراء ثلاثة آلاف مليون قلب تجيش بالرضا أو القلق بالفرح أو الحزن بالرجاء أو اليأس ، ترى ما يشغل كل قلب من هذه القلوب ؟

من وراء ثلاثة آلاف مليون جسد تغلى الحياة فى أعضائها ويجرى الدم فى عروقها وتنقبض وتنبسط بالزفير والشهيق رئاتها .

ما أكثر هؤلاء .. ومع ذلك فالله من ورائهم محيط ولامورهم مدبر وفوقهم قاهر وعليهم قيوم.

هم وحدهم ؟ كلا ، هم والاصول التى انحدروا منها والفروع التى تنشأ عنهم الى ما شاء الله جل جلاله ..

هم وحدهم ؟ كلا .. وعوالم الاحياء الاخرى التى تزحم البر والبحر ، وتنتشر فى ملكوت نجهل منه أكثر مما نعرف « وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم » .

ما أوضح شىء فى عالمنا هذا ؟ الشمس فى حجمها الضخم ، وما يضطرم فى كيانها من نار ونور ؟

ان الحريق المستعرة فى جوفها وسطحها ترمى

البقية على ص ٤٠

للدكتور احمد الحوفى
استاذ الادب العربى بكلية دار العلوم

أرأيت الى الوعل الذى ينطح الصخرة ليوهنها فيتكسر قرناه ، ويدمى رأسه ، وتبقى الصخرة صلدة سليمة ساخرة من حمقه ؟

هذا شأن أعداء الاسلام ، وخصوم الحق ، اذ يتوهمون أنهم بسهامهم الطائشة ينالون منه أى نيل .

وكانما لم يتعظوا بخيبة سابقيهم ، فجاء بعضهم اليوم يتستر فى زى البحث الاجتماعي ، لينفث سمومه من خلاله ، كما فعل ماربون كابلان فى كتاب سماه (دراسة موضوعية للمجتمع الاسلامي) ، وكما صنع روبين ليفى فى بحث سماه (البناء الاجتماعي للاسلام) .

ولقد سلكا ما سلكه غيرهما من خصوم الاسلام ، من تجاهل الحقائق ، وتشويه الوقائع ، وقلب الاوضاع ، والتمويه بقليل من الانصاف لستر كثير من التحامل والاجحاف ، وهذه أمثلة من أباطيلهما :

الخراج والزكاة

زعم الكاتب أن من الاسباب التى يسرت للاسلام أن ينتشر اعفاء من يسلمون من دفع الخراج ، لأن هذا الاعفاء شجع كثيرا من الناس على اعتناق الاسلام ، حتى ان ايراد الدولة نقص نقصا كبيرا، فلم يستطع الخليفة الأول أبو بكر أن يجنى ثمار الحروب التى أوقد نارها .

ولو أن هذا الكاتب الذى يختفى وراء البحث الاجتماعي ، درس أو أنصف لتكشفت له هذه الحقائق التى تبطل ما زعم .

١ ـ ان المسلمين فرضوا الخراج على أهل الذمة فى مقابل انتفاعهم بالارض ، ومساهمة فيما تنفقه الدولة على الارض وعلى المرافق العامة للشعب من مسلمين وغير مسلمين .

٢ ـ وأن المسلمين كانوا فى تقديرهم للخراج وفى جمعه ، أرحم كثيرا من الفراعنة والبطالسة والرومان والبيزنطيين والفرس .

٣ ـ ثم انهم راعوا فى تقدير الخراج أن يكون على الارض المزروعة ، ونظروا الى عوامل شتى تكفل العدل والرحمة ،مثل خصوبة الارض ورداءتها وجودة المحصول وقلته ، وطريقة رى الارض ، وقربها من السوق أو بعدها عنه .

٤ ـ على أن القدر الذى كان يدفعه الذمى عن أرضه المزروعة ضئيل بالنسبة الى المحصول ، وبالنسبة الى ما كانت تجبيه الحكومات غير الاسلامية .

٥ ـ ثم ان المسلم كان يؤدى عن محصوله العشر أو نصف العشر ، بحسب الطريقة التى يروى بها أرضه .

ومع هذا فان أكثر الفقهاء متفقون على أن الارض الخراجية اذا زرعها مسلم ، فعليها الخراج والعشر معا ، أى أن يدفع عنها ضريبتين هما الخراج والزكاة ، ورأى بعض الفقهاء أن الخراج يغنى عن العشر ، وسواء أكان هذا أم ذاك فان الاسلام لم يكن يعفى زارع الارض من ضريبة الخراج، سواء أكان مسلما أم غير مسلم .

٦ ـ وقد كان المسلم مكلفا فوق ذلك أن يزكي عن أمواله الاخرى .

ومعنى هذا كله أن الضرائب التى كان المسلمون يدفعونها أكثر مما كان الذميون يتحملونه .

واذن فلا علاقة بين الخراج وانتشار الاسلام ، بل انتشر الاسلام لاسباب كثيرة ، بعضها راجع الى صفائه ونقائه وسمو تعاليمه ومطابقته للفطرة ، وبعضها راجع الى ما لحق بالديانات الاخرى من تشويه وتحريف واباطيل ، وبعضها متصل بفساد النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية فسادا ضج منه الناس .

واما ادعاؤه أن اقبال الناس على الاسلام فوت على أبى بكر أن يجنى ثمرات الحروب التى اشعلها فانه ادعاء عجيب .

ذلك أن أبا بكر لم يوقد نار الحروب ، بل كان يدفع المعتدين عليه وعلى الاسلام ، ولم يكن يصح له وهو رئيس المسلمين أن يستسلم للعدوان الداخلى والخارجى ، فلا يسارع الى صده .

وأن الذى يتتبع حروبه فى جزيرة العرب أو فى العراق أو الشام ، يتبين له أن أبا بكر لم يكن يبتغى من ورائها لونا من الاستعمار والاحتلال واستلاب الغنائم والاستئثار بالخيرات ، انما كان يريد أن يلقى القوة المعادية بقوة حامية ، ليكفل للدولة الاسلامية الناشئة الامن والاستقرار، ويمهد للدعوة الجديدة طرقها التى تصل بينها وبين الناس .

الاسلام نظام كامل

وادعى الكاتب أن الاسلام لم يجد ترحيبا فى العالم الغربى ، لأن الاسلام يهيمن على سلوك الفرد فى حياته اليومية ، على حين أن الفرد يستمتع فى الغرب بحرية واسعة فى سلوكه وفى تفكيره .

فما معنى هذا ؟

هل يريد من الاسلام أن يكون عقيدة فحسب ، فلا شريعة ولا قانون ولا عبادات ولا رغبة فى ثواب الله ، ولا خوف من عقابه ؟

انه اذن يريد من المسلمين أن يقنعوا من تدينهم بالانتساب الى الاسلام ، ثم ينطلق كل منهم فى سلوكه الفردى والاجتماعى وفى أعماله الظاهرة والباطنة على ما يهوى ويشاء ، وليس هذا من التدين فى شىء .

ونحن المسلمين نفاخر بأن الاسلام نظم حياة الفرد تنظيما يكفل له الخير كله ، ونفاخر بأن الاسلام يهيمن على سلوك الافراد والجماعات هيمنة تحبب اليهم الخير والحق ، وتبغض اليهم الشر والباطل ، وتصون المجتمع من المفاسد والآثام .

واذا كان عبيد الاهواء والشهوات ، وأسرى الفوضى والانحراف والانحلال ، قد انصرفوا عن الاسلام لانه ـ كما زعم الكاتب ـ يقيدهم بقيوده ،

ويحول بينهم وبين ما يشتهون من شرور وآثام ، فان العيب ليس عيب الاسلام ، بل عيب الراتعين فى الضلال ، الذين يبصرون أضواء الارشاد ، فيغمضون دونها الابصار .

على أنه تناسى أن الغربيين انصرفوا عن الاسلام لأسباب أخرى ، منها أن دعوته لم تبلغهم على حقيقتها اذ أقام رجال الدين والسياسة بين شعوبهم والاسلام حواجز من الاضاليل ، ووسائل التنفير والكذب على التاريخ ، وتشويه الحقائق .

وليس أدل على صدق هذا من أن كثيرا من الغربيين سارعوا الى الاسلام حينما تبينوا حقائقه، ولا مطمع لأحد منهم وراء اسلامه أو دفاعه عن الاسلام ، بل ان اسلامهم يسبب لهم كثيرا من المتاعب وخسارة المال .

ولعل الكاتب ليس فى حاجة الى من يخبره أن عدد الذين يسلمون من الأمم الغربية فى نماء وازدياد .

جهل فاضح

ثم زعم أن الخلفاء الذين جاءوا بعد الثلاثة الراشدين أمهاتهم جوار من الزنوج والترك واليونان .

وهذا زعم مضحك ، لأنه لا يمت الى الصواب بسبب من الاسباب .

فالخلفاء الراشدون أربعة لا ثلاثة ، هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وما كان من حق من يجهل هذه الحقيقة أن يحمل قلما يتهجم به على خاتم الأديان .

ثم ان الخلفاء الذين جاءوا بعد هؤلاء الاربعة عرب خلص من بنى أمية ، وليس فيهم واحد ولدته أم غير عربية .

فهل يرجع الكاتب الى مصادر التاريخ الاسلامى عربية وغير عربية ، ليعلم شناعة جهله بالاسلام ، وتاريخ المسلمين ؟

وليعلم أن الخلفاء الذين كانت أمهات بعضهم غير عربيات هم العباسيون الذين قامت دولتهم بعد الدولة الأموية ؟

ثم ما عيب هذا على فرض حدوثه فى فجر الاسلام ؟

أيعاب الاسلام لأنه سوى بين الناس ، حتى صار الخليفة يتزوج جارية تلد له ابنا يتولى الخلافة من بعده .

أيعاب الاسلام لأنه أباح للمسلم أن يتزوج كتابية تنجب له ؟

ان هذا لعجيب من كاتب يعيش فى زمن يهتف فيه العالم كله بالاخاء والمساواة ، حيث لا اخاء ولا مساواة .

حقوق المرأة

ثم ادعى أن النساء المسلمات كن محرومات من الحرية فى اختيار أزواجهن ، ومن التصرف فى أموالهن .

وهو مخطىء فى الدعويين .

١ ـ لأن الاسلام يقرر أن تختار المرأة الثيب زوجها بنفسها ، وأن يستأذن الأب أو ولى الامر الفتاة البكر فى زواجها .

وللاسلام طريقة فى الخطبة تكفل للخاطب والمخطوبة أن يلتقيا ، ويرى كل منهما الآخر ، فيقبله أو يرفضه ، فى نطاق من العفاف وصيانة الاعراض والبعد عن الشبهات .

٢ ـ ولأن الاسلام يبيح للمرأة أن تمتلك وأن تتصرف فيما تملك ، كما يتصرف الرجل ، وقد جعل لها نصيبا مفروضا فى التركة كما يتبين من علم الميراث .

ولعل الكاتب يعلم أن حق الملكية كان محظورا على المرأة العبرية واليونانية .

ولعله يعلم أيضا أن القانون الانجليزى الذى صدر فى القرن الثامن عشر قد حرم المرأة حقوقها المالية كلها تقريبا ، فكانت ثروتها لأبيها ثم لزوجها ، ولم يخولها القانون حق التملك الا منذ سنة ١٨٨٢ م.

وأحب أن يتذكر الكاتب الذى يدرس شؤون المجتمع أن المرأة الفرنسية المتزوجة ما زال محظورا عليها أن تتصرف فى مالها ، الا باقرار من زوجها

وموافقته ، مالم تشترط فى عقد الزواج أن تكون حرة فى تصرفها المالى مستقلة عن الزوج .

فليوازن بين ما خوله الاسلام المرأة منذ أربعة عشر قرنا ، وبين ما تقيدها به القوانين الغربية الحديثة ، ليعلم أنه يخبط فيما ينسبه الى الاسلام .

ادعى الكاتب أنشرف المرأة كان مرهونا بمحافظة زوجها عليها ، ومراقبته لها ، فاذا قصر فى حماية شرفه واستسلمت زوجته لرجل آخر فلا يلومن الا نفسه .

وهذا كلام باطل لأنه يريد أن يصور المسلمات متهالكات على الرجال ، فلا يعصمهن من الفحشاء الا رقابة الأزواج ، ويريد أن يصور المسلمين خونة يتحينون الفرص للعدوان على أعراض اخوانهم فى الدين .

ولست أدرى كيف أباح الكاتب لنفسه ان ينكر على المرأة المسلمة حرصها على عفتها ، وصيانتها لرباط الزوجية ، واستنكارها أن يخلو بها رجل غير محرم ؟

والعجيب أنه أراد أن يصم المسلمين بأنهم عبيد شهواتهم ، لا تردعهم التقوى ، ولا يمنعهم خلق كريم من أن يختانوا الأزواج فى زوجاتهم .

وهو فى هذا قد ناقض نفسه أو ناقض زميله ، لأنه ذكر من قبل أن الاسلام يهيمن على سلوك الفرد فى حياته اليومية ، وعزا الى هذه الهيمنة قلة انتشار الاسلام فى أوروبا ، ثم ادعى هنا أن الزوجة تسارع الى رجل آخر اذا قصر زوجها فى مراقبتها .

واذا كان الكاتب يعيب غيرة المسلمين على زوجاتهم ، ولكنه يريد أن يشوهها بهذا التصوير القبيح ، فليعلم أن الغيرة من مقتضيات الاسلام، ومن تقاليد العرب المتوارثة قبل الاسلام ، وانها من دلائل الرجولة والأنفة والحرص على سلامة الأعراض ونقاء الانساب ، وهى فى الوقت نفسه من مظاهر تقدير الرجال للحياة الأسرية ورعايتها واعزازهم للنساء ، والحدب عليهن وصونهن عن الابتذال وعن القيل والقال .

وأحب أن أنبه الكاتب الى أن يدرك البون الشاسع بين مجتمع يغار فيه الرجال على النساء، ومجتمع منحل لا غيرة فيه ، يخادن فيه الرجال النساء متزوجات وغير متزوجات ، ويتعامى فيه الازواج عن زلات زوجاتهن ليتعامين عن سلوك هؤلاء الازواج .

وأحب أن يسأل نفسه أيهما أليق بالانسانية الكاملة أن تعف الزوجة ويغار عليها الزوج ، أم أن تتمادى فى غوايتها ولا يغار عليها الازواج والأقارب ؟ .

الرق المقنع

وزعم - أن النبى - عليه الصلاة والسلام - تقبل نظام الرق دون اعتراض ، واعتبره أساسا فى النظام الطبقى للامة .

ولو كان الكاتب على اثارة من علم الاجتماع الذى ادعى أنه يبحث من أجله لقرر نقيض ما زعم . فقد جاء الاسلام والرق نظام اجتماعى سائد فى العالم كله ، أقرته الأديان والفلسفات ، ولم تحاول علاجه باى دواء .

ولكن الاسلام تفوق عليها كلها تفوقا ليس هنا مجال تفصيله .

ويكفى أن نشير الى أنه وضع النظم وابتكر من الوسائل ما يكفل الفاءه الفاء متدرجا لا يزلزل النظام الاقتصادى والاجتماعى القائم .

فليعلم الكاتب أن الاسلام ضيق مصادر الرق بعد أن كانت لا تخضع لضابط أو نظام .

وليعلم أن الاسلام ابتكر وسائل شتى لتحرير الأرقاء ، وأنه اعترف بأنهم بشر لهم حقوق يجب أن ترعى وتصان ، وانه حض على احسان معاملتهم ، لانهم اعضاء فى اسرة الملاك . وخير له أن يقرأ ما كتب الباحثون فى هذا الموضوع ، ليجد ما يبهره من تشريع عظيم ، سبق به الاسلام ما تشدق به الغربيون من تحرير الأرقاء بعد دعوة الاسلام بثلاثة عشر قرنا .

ثم لينظر الى ما يعانيه الملونون فى امريكا وجنوبى افريقية من مهانة واجحاف وعدوان من

البيض عليهم ، وهم دخلاء على ديارهم ، وسلابون لثروات بلادهم ، ليعلم أن هذا أشنع من الرق ، وأولى بأن تشن عليه الحملات .

قوة الاسلام الذاتية

وادعى الكاتب أن السبب فى انتشار الاسلام هو ارتباط الحماسة الدينية بالطموح الحربى ، بعد وفاة النبى عليه الصلاة والسلام بعامين ، وأن النبى علم العرب أن محاربتهم لأعداء الاسلام حرب مقدسة ، الجنة ثواب من يقتل فيها ، كما فعل الصليبيون فيما بعد حينما حاربوا المسلمين .

وهنا دعويان باطلتان يكذبهما الحق ويبرأ منهما الصدق .

١ ـ أما بطلان الدعوى الاولى فلأن الكاتب يتجاهل تاريخ المسلمين ، فيزعم أنهم لم ينتصروا الا بعد وفاة رسول الله على حين أن نصرهم بدا واضحا منذ وقعة بدر ، واستمر فى مواقع عدة بعدها ، ورسول الله حى يشهد المواقع بنفسه ، حتى دانت جزيرة العرب بالاسلام .

ثم انه يتفافل عن حقيقة لا مجال للشك فيها ، وهى أن الاسلام انتشر بقوته الذاتية الجاذبة ، لا بالقسر والاكراه والاغراء ، فالقرآن الكريم يقرر صراحة أنه لا اكراه فى الدين ، ويخاطب النبى عليه الصلاة والسلام بأنه ليس عليه هداهم ، ولأن تاريخ الفتوح الاسلامية يسجل أن المسلمين لم يجبروا أحدا على أن يسلم ، بل كانوا يتركون الناس أحرارا فى عقائدهم وعبادتهم ، حتى لقد شجعوا المسيحيين واليهود على اقامة الكنائس والبيع .

وليس لباحث أن يتفافل عن هذه الحقيقة ، وهى أن الاسلام كان ينتشر فى فترات فقد فيها المسلمون نفوذهم الحربى والسياسى ، وما زال ينتشر الى اليوم بقوته الذاتية ، ويعتنقه كثير من المفكرين الذين يتعرفون حقيقته .

ويقول السير توماس أرنولد : لقد تصدعت أركان الامبراطورية الاسلامية العظمى ، وتضعضعت قوة الاسلام السياسية ، ولكن غزواته الروحية ظلت مستمرة دون انقطاع ، وعندما ضربت جموع المغول بغداد سنة ١٢٥٨م وأغرقوا فى الدماء مجد الدولة العباسية ، وعندما طرد فرديناند ملك قشتالة وليون المسلمين من قرطبة سنة ١٢٣٦ م ، ودفعت غرناطة ـ آخر معاقل المسلمين فى اسبانيا ـ الجزية للملك المسيحى ، فى هذين الوقتين كان الاسلام قد استقرت دعائمه ، وتوطدت أركانه فى جزيرة سومطرة ، وكان يشق طريقه الى تقدم ناجح فى جزر الملايو .

كذلك يذكر توماس أرنولد ، أن الاسلام اجتذب الى اعتناقه عددا كبيرا من الصليبيين فى القرن الثانى عشر ، وكان فى هؤلاء الذين أسلموا قوادا وأمراء انضموا الى المسلمين فى أوقات انتصر فيها المسيحيون .

ويقول ان ستة من أمراء مملكة القدس اعتنقوا الاسلام بغير أن يضطرهم أحد .

فعلى الكاتب وأمثاله ممن يتهجمون على الاسلام زاعمين أنه انتشر بحد السيف ، أن يتذكروا أن الاسلام قد شق طريقه الى قلوب الغالبين المسيطرين من خصومه ، وهم أصحاب الحول والطول ، أولئك هم الأتراك السلاجقة فى القرن الحادى عشر ، والمغول فى القرن الثالث عشر ، اذ أسرع الفاتحون الغالبون الى اعتناق الاسلام دين المغلوبين .

كذلك نجد دعاة الاسلام الذين لا سلطان لهم ، قد حملوا عقيدتهم الى افريقية الوسطى والصين وجزائر الملايو وغيرها ، فنشروها فى يسر وحسنى.

وعلى هذا الكاتب أن يقرأ ما قاله هوبير ديشان حاكم المستعمرات الفرنسية فى افريقية الى سنة ١٩٥٠ م. وهو فرنسى مسيحى « لم تقم دعوة الاسلام على القسر ، بل قامت على الاقناع الذى كان يتولاه دعاة متفرقون ، لا حول لهم ولا طول الا ايمانهم العميق بالله . وكثيرا ما انتشر الاسلام بتسرب سلمى بطىء من قوم الى قوم ، فاذا اعتنقه السادة تبعتهم القبيلة كلها ، ولقد سهل انتشاره أمر آخر ، هو أنه دين الفطرة سهل التناول لا لبس فيه ولا تعقيد ، سهل التكييف والتطبيق فى جميع الظروف » .

واذن فلا صحة لما ادعاه الكاتب من انتشار

الاسلام بالقوة ، أو انتشاره مصحوبا بحماسة حربية .

٢ ـ وأما الدعوى الثانية فانها لا تقل بهتانا عن سابقتها ، لأن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يكن داعية حرب ، بل كان داعية سلام ، وكان يؤثر السلام ما وسعته الدعوة والايثار ، فاذا لم يجد بدا من الحرب لحماية العقيدة وصيانة الأرواح ، والدفاع المشروع عن حق الحياة ، اضطر الى الحرب اضطرارا ، فحروبه كلها حروب دفاع لا حروب عدوان .

ومع هذا فقد ضرب أروع المثل فيما سنه من قوانين شريفة فى اعلان الحرب ، وفى مقدماتها ، وفى سيرها ، وفى نتائجها ، وفى معاملة الأسرى ، وفى معاملة المغلوبين ، ليس هنا مجال تفصيلها .

أما تنظير الكاتب بين المسلمين الأولين والصليبيين، فانه تنظير باطل ، لأنه أقامه على أن الصليبيين كانوا يعتبرون المسلمين كفارا ، كما كان المسلمون الأولون يعتبرون مخالفيهم كفارا ، وبنى على هذا التنظير أن المسلمين الأولين والصليبيين كانوا يتهافتون على قتال خصومهم ، وعلى الموت المقدس فى حربهم .

وشتان ما بين المسلمين والصليبيين ، لأن المسلمين اذ كانوا يحاربون المشركين كانوا يرتخصون أرواحهم فى الذود عن عقيدتهم وعن حريتهم ووطنهم فيدفعون عن أنفسهم شرا واقعا أو شرا يوشك أن يقع .

أما الصليبيون فقد كانوا معتدين مستعمرين مخربين حانقين على الاسلام وعلى والمسلمين .

وما من باحث يجهل الفرق الكبير بين حرب همجية مبعثها الجشع والحقد والطغيان ، وحرب مشروعة مبعثها الدفاع عن العقيدة والنفس والحرية والوطن .

فليرجع الكاتب الى التاريخ ليتبين أن المسلمين كانوا فى حروبهم ذوى مروءة وشرف ورحمة ورعاية للقيم الانسانية، وليرى أن الصليبيين كانوا يمثلون الوحشية والهمجية والطغيان .

ولن يستطيع بعد الموازنة المنصفة الا أن يمحو هذا التنظير، ويشهد للحروب الاسلامية بأنها سنت من النظم السامية والمثل العالية ما لم تستطع أمة أن تأخذ به نفسها فى القديم ولا فى الحديث .

وأكتفى بأن أنقل للكاتب فقرات مما قاله العلامة جوستاف لوبون .

« لم يكتف قومنا الصليبيون الاتقياء بضروب العسف والتدمير والتنكيل التى اتبعوها فى معاملة المسلمين ، بل عقدوا مؤتمرا اتفقوا فيه بالاجماع على ابادة سكان القدس جميعا من مسلمين ويهود، وقد بلغ عدد الذين أبادوهم فى ثمانية أيام ستين ألفا ،لم يستثنوا منهم امرأة ولا شيخا ولا وليدا».

وقوله « يدل على سلوك الصليبيين فى جميع المعارك على أنهم من أشد الوحوش حماقة ، اذ كانوا لا يفرقون بين الحلفاء والأعداء والاهلين العزل والمحاربين والنساء والشيوخ والأطفال ، بل ينهبون ويقتلون على غير هدى .

ثم ينقل جوستاف لوبون عن مؤرخين ورهبان شاهدوا بيوتهم ، فيذكر أن الصليبيين كانوا يجوبون الشوارع ، ويصعدون الى سطوح المنازل ، ليرووا غليلهم من التقتيل ، وكانوا يذبحون الاولاد والشبان والشيوخ ، ويقطعونهم اربا اربا ، وكانوا يشنقون أناسا كثيرين بحبل واحد بغية السرعة ، ويبقرون بطون الموتى ، ليخرجوا منها قطعا ذهبية، وكانت الدماء تسيل كالأنهار فى طرقات المدينة المغطاة بالجثث ، وقد ذبحوا عشرة آلاف مسلم فى مسجد عمر بالقدس .

وهكذا يعدد جوستاف لوبون مخازى الصليبيين كما يعددها غيره من ثقاة المؤرخين .

أما بعد ، فلقد كان على المتهجم أن يدرس قبل أن يصوب سهامه المغلولة ، فلعل دراسته تكشف له عن كثير من حقائق الاسلام ، وتجنبه ما تورط فيه من أضاليل وأباطيل ، تنبىء عن جهل أو تجاهل وحقد وبغضاء والاسلام من أباطيله كلها براء .

إشراقة نور

سبح الله ونورُ المشرق
طالع في الأفق حلوُ الرونق
ونسيماتُ الصباح الشيقِ
تتهادى في بحور من ضياء

★★★

ربِّ يا مبدعَ تلكَ الأنفسا
من شعاعِ النورِ يَحْوِى قَبَسا
خلقةٌ جلت وطابت مغرسا
فمن الطينِ ومن ماءِ السماءِ

★★★

تشرقُ الشمس فتحيي الأمَلاَ
وتثيرُ العزمَ فِي كُلِّ المَلاَ
فتَرَى الورقَ شَدَا والبلْبُلاَ
يالهُ من عملٍ ضافي البناءِ

★★★

يا لِنفسِ المرء كَمْ من مدع
انكر الحق وقولَ المبدعِ
خَابَ مَسْعَاهُ وما من مهيع
وثوى في النار من غير انتهاء

★★★

للاستاذ جاسم عبد الرحمن الجاسم
وزارة العدل ـ الكويت

فـــاذا الليـــلُ تَـــدَانَـــى بالظـــــلامِ
واختفَـــــى البَـــــدرُ سريعـــــاً بالغمـــام
وبـــدا النـــائمُ يَغْفُـــــو في المَنَـــام
فـــلوجـــهِ اللهِ فاكثـــــر بالدعـــــاء

★★★

نظـــــرةٌ لله تَشْفـــــــى السقَمَـــا
وهـــــى للمحـــــزون دومـــــاً بَلْسَمَـا
وغـــــذا للـــروح طابَتْ مَطْعَمَـــــا
يـــــا لَهَا بُشْـــرَى لِـكل السعَـــــداء

★★★

فإلى الخَيْـــــرِ فبـادِرْ مُسْـــــــرِعـاً
ولـدَاعِـــــى الحَـق فاسْمَـــعْ مَنْ دَعَا
فَازَ مَـــن لَبى وللخيـــــرِ سَعَـــــى
قاصـــــداً لله ربِّ الضعفـــــاء

★★★

فَمَـــعَ النـــاسِ فَـــكُنْ سَهْـــلَ القيـــاد
فَـــاتِحـــاً قَلْبَـــكَ حبـــاً للـــوداد
ناصحـــاً للحـــقِ موفـــورَ الرشـــادِ
فتنـــالَ الحَمْـــدَ مَـــعْ حُسْنِ الثنـاء

باللهب على مسافات هائلة هى بعض مظاهر الجبروت الآلهى فى التكوين .

فهل بعد ذلك يضعف الاحساس بالخالق ويقوى الاحساس بالمخلوق ؟

وحدة الوجود خرافة

ان الشعور بالوجود الآلهى يجب أن يكون حيا غامرا لدى أولى الالباب ..

لكن الكون شىء غير صاحبه ، والعالم شىء غير الله ، ومعرفتنا بالله فيما أوجد لا تعنى أن الوجود هو الموجود .

ومن السخف أن يرتكس الفكر الانسانى فى هذه الحمأة .

ان الآلة شىء غير من اخترعها ، والقصر شىء غير من بناه ..

وقد خلقنا الله وكلفنا ، ورتب على تكاليفه مثوبات وعقوبات ، وأنزل بذلك كتبا وبعث رسلا ...

فكيف نجرؤ على وصفه بالهزل والتزوير فى ذلك كله ؟

ولقد أحصى العلماء العناصر التى يتكون منها العالم ، وقرروا ما لكل عنصر من خصائص لا تزيد ولا تنقص ، فكيف توصف هذه العناصر بعد ذلك بأوصاف الالوهية ؟

ان القول بوحدة الوجود هو ـ عند التأمل ـ نفى للألوهية واثبات للكائنات وحدها ...

فالماء مثلا مادة معروفة وقد شرح الكيمائيون أسلوب وجودها من عنصريها الاساسين .

وهى من قبل ومن بعد لن تكون الا الماء .

فالزعم بأنها ، اله أو جزء اله تخرص علمى سيسقط من تلقاء نفسه ،وتبقى بعد ذلك العناصر وحدها دون أى وصف الهى .

ومن ثم قلنا ـ . ان وحدة الوجود عنوان آخر للالحاد فى وجود الله، وتعبير ملتو للقول بوجود المادة فقط وما دام لا يوجد شىء وراء هذا العالم ، فالقول بأن الله داخله هو صورة أخرى للقول بنكرانه ...

وفلسفة وحدة الوجود، أو خرافة وحدةالوجود تفكير هندى قديم ، والقوم يتصورون أن هذا العالم أزلى ابدى ، وأن الارواح تخرج من أجسادها لتعود فى أجساد اخرى ـ وقد تكون اجساد حيوانات ـ وأن قصة الحياة تدور فى هذا النطاق المحصور ، وتبدأ من حيث تنتهى ، وهكذا دواليك الى ما شاء الله ، والله ـ فى أوهامهم ـ هو هذه العمليات المتكررة .

والغريب أن هذه الوحدة الموهومة قد تسللت الى بعض الديانات السماوية وبين يدى قصيدة لشاعر عربى تصور هذه الاسطورة المنكورة تصويرا تاما ، قال .

عل الوجود هو الله الذى اتجهت
هدى النفوس اليه بالعبادات ..
له العوالم أعضاء مترددة
فيها الحياة على بعد المسافات .
وما الاثير وما الاجرام سابحة
فيه ، سوى الدم ، يغلى بالكريات
ما كان قط عن الاشياء منفردا
بل هن فيه لصون الذات بالذات
تعاشق الكل ، من أعلى الشموس الى
أدنى الرمال الى أخفى الذريرات
لو قال كن ، كان للتكميل مفتقرا
وكان فى حاجة الماضى الى الآتى
سر التحول والتكرار مطردا
هذى البدايات من تلك النهايات
رباه أشرق لروح منك منبثق
أما أنا فيك من بعض الخليات . .
حاولت ترويض عقلى فاندفعت به
فى مد حض زيق بالعبقريات
فخذ بكفى ، ولا تغضبك فلسفتى
وعدها لى من بعض الحماقات .

وهذا الذى قاله الشاعر حماقة لا ريب فيها ، ومن حق رب العالمين أن تغضبه تلك الفلسفة السمجة ، وأن يسخط على كل من يعتنقها ويروجها .

ومن العجائب أن بعض المتصوفة من المسلمين قد انزلق الى هذه الهاوية وينسب الى الحلاج قوله .

سبحان من أظهر ناسوته
سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهرا
فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه
كلحظة الحاجب بالحاجب

وقد دفع الحلاج دمه ثمن هذا الحمق .

ولا أدرى كيف يقول مسلم ، بل كيف يقول عاقل بوحدة الوجود ، ان كان حقا يؤمن بالله ويصدق المرسلين ؟

لو كانت الارض لؤلؤا ومرجانا ما صح أن تكون ذاتا لله ، فكيف وهى الى جانب ذلك حصى وبعر ، ولو كانت زهرا فهناك الشوك ، ولو كانت وفاء وأمانة فهناك الغدر والخيانة ..

ان الصاروخ المنطلق في مداره شيء غير الانسان الذى أطلقه ، كذلك العالم شيء غير الرب الذى أبدعه وسيره « الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل . له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون » .

وأظننا أوضحنا بعد البون بين الاحاطة الالهية التى يحسها المؤمنون ووحدة الخالق والمخلوق التى يتوهمها الخراصون ..

ثم ان العارفين بالله المشاهدين لقيوميته قد يستغرقون فى حالات من التأمل العميق تطول أو تقصر ، والاستغراق العقلى او النفسى فى امة ما ليس بدعا فى شئون الناس .

وقد يفجؤنى أحيانا أمر من الامور فأحشد له كل ما فى كيانى من انتباه الى أن أفرغ منه .

وللعلماء نوادر فى ذهولهم العلمى وغلبة بحوثهم على تصوراتهم .

وليس مستغربا أن يجتذب الحب الآلهي بعض أولى الالباب فيشغلهم عن ذاتهم ، وينتقل بهم من مآرب الارض الى أشواق السماء ..

الا أن هذه الاصول عوارض لا تصبغ الحياة الانسانية طولا وعرضا .. وهى بداهة لا تنال الا أصحاب السناء الفكرى والنفسى .

أى أنها شارات اكتمال ثقافى وعاطفى فلا يمكن أن يحسها أهل البلادة والقصور ، ان التألق طبيعة الشخصية المتقدة لا الشخصية المعتمة ..

ويبقى أن نتساءل . ما مدى هذا الاستغراق ؟ والجواب ان لحظات الانتباه الذهنى موقوتة بطبيعتها ، فما يزعمه البعض أنه مجذوب طول عمره الى الحضرة الالهية دعوى غير مسلمة .

نعم هناك الوف المؤمنين المتفانين فى مرضاة الله الراغبين اليه البانين حياتهم وفق مراده ، ولكن ذاك شأن غير ما نحن بصدده .

والمثال العلمى الاكمل للمعرفة التامة والاقبال العظيم على الله يؤخذ من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان انتباهه المشدود الى الله تبارك وتعالى ما أوهى حسه بالحياة ولا علائقه بالخلائق ..

ومن هنا فسيرة المجاذيب من المتصوفين الذاهلين عن الوجود المادى ، نعدها نحن حالات مرضية لا أمارات صحة ...

فاذا انضم الى هذا الذهول ما يقال من فناء عن النفس أو فناء فى الله ، وما يضيفه الخيال المعتل فى مثل هذه الحالات من صور حلول أو اتحاد ، كل ذلك لا يمكن وصفه الا بأنه اختلال فى القوى المعنوية ، أو ضرب من الخيال ..

ان المتفانى فى عشق امرأة لا يحوله الهيام الى ضلع منها او جهاز فى بدنها..

والايمان صراط مستقيم لا يتحمل ذرة من هذا الاعوجاج ....

فى تاريخ القرآن

بقلم الدكتور عبد الصبور شاهين
المدرس بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

لا أحد يجهل تلك اللحظة الحاسمة فى تاريخ الانسانية ، لحظة تنزل جبريل الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، فى غار حراء ، بالخيوط الاولى من شعاع القرآن ، وكانت بداية حملت الى الانسانية تخطيط مصيرها على طريق الحضارة ، التي يجب منذ الآن أن تسلك سبيل المعرفة ، وأن يرتبط مصيرها بمدى ما تبلغه عن طريق المعرفة من انتصارات على المجهول من أسرار الكون . نزل جبريل بالامر العجيب ((اقرأ)) ، وكأنما كان يوجه أمره الى الانسانية كلها ، فى شخص ذلك المتحنث فى غار حراء ، وكأنما كان هذا الامر مفتاحا سلكته السماء فى ضمير الانسانية ، فانفتحت لها مغاليق الكون ، وباح لها بأسراره . ومن يومها والدنيا منطلقة انطلاقا واعيا الى القراءة، فى حركة دائبة لا تهدأ ، لقد استودع الله فى هذا الامر سر التقدم والحضارة ، وجسد فيه معنى الحياة .

واستمر الوحى يتنزل بعد هذه البداية الرائعة ، آية آية ، ونجما نجما ، الى أن اكتمل الدين على مدى ثلاثة وعشرين عاما ، مختوما بتلك الخاتمة ذات المغزى التاريخي . ((اذا جاء نصر الله والفتح.ورايت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا.فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا)) .

ولسنا بحاجة الى أن نصف كيفية

نزول الوحي ، فهي موصوفة فى كثير من الاحاديث الصحاح ، وأشبعها علماؤنا تفسيرا ، وانما يشغلنا ابتداء ثلاث مشكلات ، لازمت الوحي على طول زمنه، وهي التي تأثر بها تاريخ القرآن فى أكثر جوانبه .

المشكلات الثلاثة

وأولى هذه المشكلات . مشكلة الخط الذى استخدم فى تسجيل الوحي .

وثانيها . مشكلة جمع ما تنزل من الوحي على عهد رسول الله أولا ، ثم فى عهد الصحابة من بعده .

وثالثها . ما صاحب هذين الامرين من اعتماد على الذاكرة لحفظ النص عن ظهر قلب ، مخافة أن يتبدل أو يتغير .

فأما المشكلة الاولى فان لها جانبين ، أحدهما . ما يتعلق بتاريخ الخط العربي عموما ، وثانيهما . ما يتعلق بمعرفة النبي صلى الله عليه وسلم لرموز هذا الخط ، وبعبارة أخرى . أكان صلوات الله وسلامه عليه يعرف الكتابة والقراءة أم لا ؟

ولا بد لنا من تناول كلا هذين الجانبين بتفصيل علمي ، بعيد عن التهويمات التي تطلق فى ثوب ألفاظ مبهمة ، وعن الاقاويل التي تورط فيها المستشرقون ، وكل ما أرجوه من القارىء أن يصبر على تناول هذه المشكلة ، فلا يمل ما تحتوى من تفصيلات تبدو قليلة الأهمية ، فكل تفصيل فى هذه المسائل ذو مغزى، ما دام قد ورد من طريق الثقات ، بصرف النظر عن دقته التاريخية .

الخط العربى وتاريخه

وتاريخ الخط العربى ، أعنى نشأته حيث نشأ ، ثم دخوله الى البيئة المكية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ـ قد ورد فى أخبار كثيرة طوال وقصار ، ونحن نورد بعضها هنا ، بحسب الترتيب الزمنى لمراجعها ، ليمكن ان نلحظ ما تنطوى عليه أحيانا من تناقض .

١ ـ فابن أبي داود السجستاني (المتوفي ٣١٦ هـ) يذكر لنا ثلاث روايات .

أ ـ ان المهاجرين تعلموه من الحيرة ، وان أهل الحيرة أخذوه عن أهل الانبار .

ب ـ أن رجلا يقال له بشر بن عبد الملك الكندى تعلمه من الانبار ، ثم وفد الى مكة فى بعض شأنه فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية ، وعلم أباها حرب بن أمية ، وأخاها سفيان بن حرب صناعة الخط ، ثم تعلمه معاوية من عمه سفيان ، وتعلمه كذلك عمر بن الخطاب وسائر قريش .

جـ ـ أن مرامر بن مرة ، وسلمة بن حرزة هم الذين (١) وضعوا هذا الكتاب (يقصد الكتابة) وهم من بولان، قوم من طىء ، كانوا يسكنون بقة (وهي قرية وراء الانبار) (٢) .

وهذه الروايات لا تختلف فى المصدر الاول للخط ، وهو الانبار ، ولكنه يجمل وصف حركة انتقاله من الانبار الى الحيرة ، ثم الى المهاجرين فى الخبر الاول،

---

(١) ننقل عن نص قديم ، ولذا نلتزم تعبيره حرفيا ، وله ولا شك وجه فى الكلام .

(٢) كتاب المصاحف للسجستاني ١/٤ ـ ٥ .

ويفصل فى الخبرين الآخرين امر انشاء الخط فى الانبار ، أو امر انتقاله منها الى مكة .

فاذا تركنا السجستاني الى احد المؤرخين ، وهو الجهشيارى (المتوفي ٣٣١ هـ) نجده يبعد كثيرا فى نشأة الخط العربى ، حيث ينقل رواية عن كعب الأحبار ان آدم عليه السلام قد وضع الكتاب السرياني قبل موته بثلاثمائة عام ، وروى ان ادريس عليه السلام أول من خط بالقلم بعد آدم . وروى أن أول من وضع الكتابة العربية اسماعيل بن ابراهيم ، ثم يعود ليروى مثل ما ورد لدى السجستاني مع تفصيلات أكثر (١) .

ويأتى ابن النديم (المتوفي ٣٨٥ هـ) فيستبعد ما قاله كعب الاحبار ، ويبرأ الى الله منه ، ربما لأنه أقرب الى الاسطورة منه الى النظر العلمي ، ولكنه يعود فيرجح أن الله انطق به اسماعيل فى سن الرابعة والعشرين ، وأن أبناء اسماعيل هم الذين وضعوه مفصلا فيما بعد (٢) .

وهكذا تتراوح روايات القدماء بين القول بالتوقيف من الله عز وجل ، علمه آدم ، أو أنه من صنع البشر سواء أكانت النشأة جماعية أم فردية .

المشكلة عند ابن خلدون

ولم يناقش أحد فى القديم هذه القضية مناقشة عقلية غير ابن خلدون (المتوفي ٨٠٨ هـ) ، وهو يربط وجود صناعة الخط وعدمها ، وجودة الخط ورداءته ، بقانون الحضارة والبداوة ، فيقول . « وقد كان الخط العربي بالغا مبالغه من الاحكام والاتقان والجودة فى دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف ، وهو المسمى بالخط الحميرى ، وانتقل منها الى الحيرة ، لما كان بها من دولة آل المنذر ، نسباء التبابعة فى العصبية ، والمجددين لملك العرب بأرض العراق ، ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين ، وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش .. الخ (٣) » .

وابن خلدون فى هذا النص عالم لا يعنيه تحديد اشخاص ، انما هو يتتبع حركة الخط التاريخية من مركز الى مركز ، الى ان انتهت الى قريش ، بوساطة شخص معين أو غير معين ، فذلك كله ممكن . ولكن كلامه يدلنا على أنه يفترض للخط العربي الذى كان الحميري مرحلة من مراحلة تاريخا أبعد مما تصور السابقون عليه جميعا ، فلا شك على هذا ان نشأته كانت قبل دولة التبابعة ، وهي المعروفة فى التاريخ باسم « الدولة الحميرية الثانية » (حوالي عام ٣٠٠ – ٥٢٥م) .

وهذا الرأى لابن خلدون يبدو أنه هو الذى انتهى اليه مؤرخو أوربا ومستشرقوها ، فقد حدد المستشرق

---

(١) الوزراء والكتاب ص ١و٢ .
(٢) الفهرست ص ١٢/١٣ .
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٢٩٣ .

الفرنسي جان كانتينو بدء دخول الخط الآرامي الى بلاد العرب ببداية القرن الثالث الميلادى وهو ما فهمناه من حديث ابن خلدون السابق .

هذا عن دخول الخط من حيث هو صناعة الى جزيرة العرب .

الخط فى البيئة المكية

أما دخوله الى البيئة المكية فلا ريب أنه كان متأخرا ، وبصورة فردية بداهة، بحيث كان انتشاره حتى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فى حدود عدة نفر من قريش ، لا يتجاوزون خمسة عشر رجلا ، برغم أنه كان موجودا بالجزيرة قبل البعثة بحوالى أربعة قرون .

محاولة لاكتشاف الخط

لقد حاول المؤرخون أن يتعرفوا ملامح هذا الخط الذى قبسه أهل الجزيرة العربية عن غيرهم من الأمم التي سبقتهم فى مضمار الحضارة ، لكن الجزيرة لم تسعفهم بالدلائل والآثار ، لقد كان ضنها لسبب بدهى هو قلة عدد الكاتبين من العرب فى الجاهلية ، وعدم انتشار فنون النحت والحفر فى تلك البيئة فى ذلك العهد البعيد ، فصوبوا جهدهم الى مجال آخر كانت الحضارة فيه مزدهرة ، هنالك فى روابى الشام ، فوقع لهم كشف هام لنقش (اغريقى ـ سورى ـ عربى فى بلدة زبيد ، مؤرخ بعام ٥١٢م) ونقش آخر (اغريقى ـ عربى) فى حران، الى الجنوب الشرقي من دمشق (مؤرخ بعام ٥٦٨م) ، وهذان التاريخان سابقان على ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم . وكان مما لاحظوا فى خطهما تماثل الرموز الدالة على حروف (ب ـ ت ـ ث ـ ن ـ ى) ، دون ان يميز بينها أى رمز اضافي ، كالاعجام مثلا ، كذلك لاحظوا وجود رموز للحركات الطويلة (أعني ألف المد وياءه وواوه) ، على حين عدمت الاشارة الى الحركات القصيرة (الفتحة، والكسرة ، والضمة) ، ويستخرجون من هذا أن صناعة الخط آنذاك كانت شبه بدائية ، فلم يكن قادرا على تمثيل حاجات الفكر أو الثقافة العقلية ، بل كان استعماله مقتصرا على عمليات البيع والشراء ، والتراسل البسيط .

ويستطرد المستشرق الفرنسي رجيس بلاشير فى معرض الحديث عن الخط العربي ليقرر ان الخط لم يكن وحده هو المستعار فحسب ، بل كانت ادوات الكتابة ذاتها مستعارة ايضا . ومن امثلة ذلك . لفظة « قلم » ، (وجمعها. أقلام) فهى مأخوذة اما عن اللفظة الاغريقية « قلموس » ، أو السريانية « قلوما » ولفظة . « قرطاس » وجمعها. (قراطيس) شبيهة بالكلمة الاغريقية (خرطيس) ، والسريانية (قرطيسا). وكلمة « لوح » (وجمعها . ألواح) ليست سوى الكلمة العبرية . (لوح) الواردة فى سفر الهجرة . وكلمة «كتاب» (وجمعها . كتب) يغلب انها من الكلمة الآرامية (كتابا) والافعال . كتب وسطر ونسخ ـ ترجع كلها ايضا الى امثالها فى العبرية او السريانية ، وقد جاءت هذه الالفاظ كلها فى القرآن .

أهداف معلومة

والذين يسوقون هذه الاقوال يهدفون من ورائها الى تقرير « ان صناعة الخط الى جانب أنها لم تكن أصيلة فى الجزيرة كانت هزيلة ، وانها عاشت على هامش الحياة العربية الى أن جاء الاسلام فأعلى من شأنها ، ولكنها خلفت قبل نضجها فى وثائقه نقصها وهزالها ، وكل هذا من أجل القاء ظلال مهزوزة على عملية تسجيل القرآن الكريم » .

والواقع أن الخط ـ كما سبق أن قررنا ـ دخل الى الجزيرة قبل الاسلام بأربعة قرون ، وفرق بين الجزيرة من حيث هي بيئة مترامية الاطراف كثيرة القبائل والشعوب ، وبين مكة التي لم

البقية على ص ٦٥

العالم العربي

في ماضيه وحاضره

بقلم الاستاذ
احمد مظهر العظمة

— ١ —

وطن العرب الاكبر الذى الف تجمعهم الاقليمى الاول والأشهر ، الذى استقروا فيه ، هو شبه جزيرة العرب «(١)» ، وقد ازداد هذا الوطن الرحب اتساعا بموطن الهلال الخصيب ، ووادى النيل ، وشمالى افريقية .

والعرب هم أحد الشعوب السامية «(٢)» ، وصفهم أديب العربية الكبير المرحوم مصطفى صادق الرافعى فقال : « وقد أصبحت بقاياهم الضاربة فى بوادى العربية ومصر وسورية لهذا العهد موضع العجب لاهل البحث من علماء الطبائع، حتى أجمعوا على انه لاند لهذا الجنس فى جميع السلائل البشرية ، من حيث الصفات التى تتباين فيها أجناس البشر خلقا وخلقا ، وحتى صرح بعضهم بأن هذه السلالة تسمو على سائر الاجيال ، بالنظر الى هيئة القحف وسعة

---

(١) حددها العلامة الالوسي بأنها من بحر القلزم الى بحر البصرة ، ومن أقصى حجر باليمن الى أوائل الشام بحيث كانت تدخل اليمن فى دارهم ولا تدخل فيها الشام (بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب ج ١ ص ١١) .

(٢) قال ابن خلدون « اتفق النسابون ونقلة المفسرين على ان ولد نوح الذين تفرعت الأمم منهم ثلاثة . سام وحام ويافث ، وقد وقع ذكرهم فى التوراة ... فأما سام فمن ولده العرب على اختلافهم، وابراهيم وبنوه صلوات الله عليهم باتفاق النسابين ... والخلاف بينهم انما هو فى تفاريع ذلك أو نسب غير العرب الى سام .. (تاريخ ابن خلدون ج ١ ص ٨ و ٩ ط ١٣٥٥) يشمل هذا الجنس البابليين والسريانيين والعبرانيين والفنيقيين والآراميين والحبشيين والسبئيين والعرب ، وان كان بين العلماء خلاف فى بعض من عددنا ساميا ، كما يختلفون فى الموطن الأصلي للجنس السامي قبل أن يتفرق ويتنوع .. (المفصل فى تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ٨ للاساتذة أحمد الاسكندرى وزملائه) .

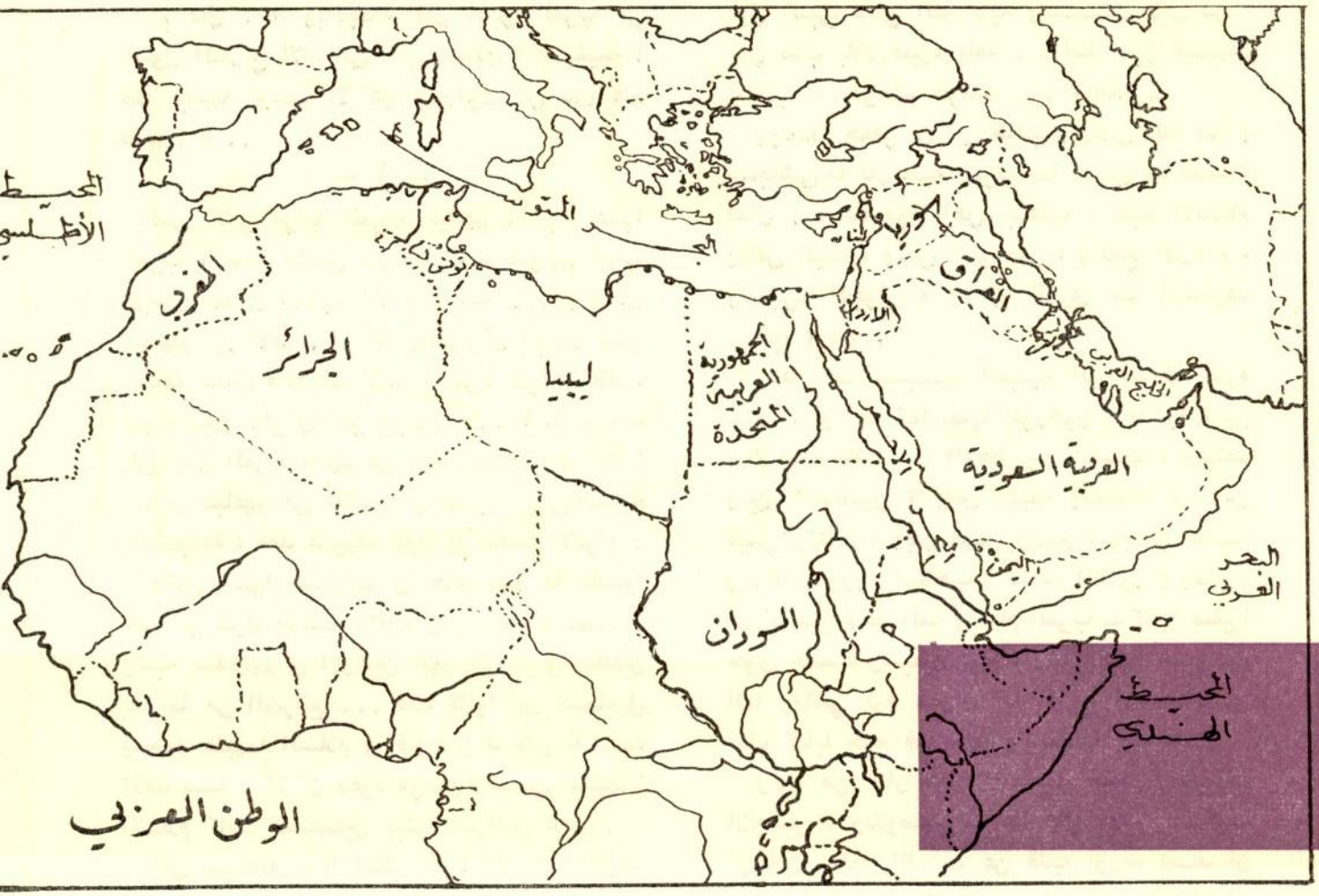

الدماغ وكثرة تلافيفه ، وبناء الاعصاب وشكل الالياف العضلية والنسيج العظمى وقوام القلب ونظام نبضاته ، فضلا عما هى عليه من ملاحة السحنة وتناسب الاعضاء وحسن التقاطع ووضوح الملامح ، وفضلا عما فى طباعها من الكرم والانفة والاريحية وعزة النفس والشجاعة .

لا جرم كانوا اهل هذه اللغة المعجزة التى ناسبتهم باوضاعها فى معانى التركيب ، حتى كانما كتب لها أن تكون دين الالسنة الفطرى ، لتصلح بعد ذلك أن تكون لسان دين الفطرة «(١)» .

تم قال . (مما لا يمترون فيه أن العربية كانت أبعد آفاق التاريخ التى أضاء فيها كوكب الحضارة المشرق ، وقد تحققوا ذلك بما اكتشفوه سنة ١٩٠١ للميلاد فى بلاد السوس من آثار دولة حمورابى ، وهى المسلة التى دونت عليها الشريعة البابلية فى ٢٨٢ نصا ، وما ثبت لهم من أن هذه الدولة عربية ، وهى تبتدىء سنة ٢٤٦٠ ق.م ، وبهذا الاكتشاف قضى للجنس العربى أنه أسبق الامم الى وضع الشرائع ، وأنه بلغ طبقة عالية فى الحضارة سقطت دونها الشعوب القديمة ، بل يذهب الاستاذ صموئيل لا ينج فى كتابه (أصل الامم) الى أن الساميين استوطنوا بلاد العرب ، وانهم حيثما وجدوا فى غيرها فهم غرباء : وأن تقدمهم فى الحضارة مفرق فى القدم ، ربما كان زمن تحول العصر الحجرى ، فتحولوا يومئذ عن الصيد والقنص الى الزراعة والصناعة ، وهو يشير بذلك الى الدولة المعينية التى جاء ذكرها فى سفر الاخبار الثانى ، الاصحاح ٢٦ عدد ٧ .

وقد عثر الباحثون على أمة بهذا الاسم ،ذكرت فى أقدم آثار بابل سنة ٣٧٥٠ ق.م على نصب من انصاب النقوش المسمارية «(٢)» .

---

(١) تاريخ آداب العرب للرافعى ج ١ ص ٣٤ يشير بذلك الى العناية الالهية التى أعدت اللغة العربية لتكون لغة الاسلام قرآنه وحديثه .

(٢) تاريخ آداب العرب ص ٣٧ .

ثم قال . « وبالجملة فان اصل العرب من أصول التاريخ الانسانى التى الحقها الله بغيبه ، فلا يجليها لوقتها الا هو ، وفوق كل ذى علم عليم . » ..

— ٢ —

لعل أظهر مزايا العرب بيانهم ، وبه سموا العرب (فانه مشتق من الابانة ، لقولهم أعرب الرجل عما فى ضميره اذا أبان عنه ... والبيان سمتهم بين الامم .) «(١)» ومعلوم أن البيان ليس بضاعة لسان ، الا اذا كانت الكهربا ثمرة أسلاك ، فهو مكنون فكر وخاطر وجنان ... فاذا أضفت الى بيان العرب مالهم من ذكاء وبداهة وفراسة ، وما فى طباعهم من الكرم والعزة والاريحية والشجاعة ، فقد صورت قوما فى مقدمة الاقوام .

ولعل أسوأ مساوئهم فى جاهليتهم ما كانوا عليه من شرك ووثنية «(٢)» ، ومن عصبية عمياء . وشبه معذرتهم فى الاوليين أنهم لم يكونوا مكلفين بشريعة من الشرائع ... فقد كانوا بين اسماعيل ومحمد عليهما السلام فى فترة تزيد على ثلاثة آلاف سنة ، اذ أن دعوة موسى وعيسى عليهما السلام كانتا مختصتين ببنى اسرائيل «(٣)» .

قال سبحانه . « لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون » يس . (٦)

وقال تعالى . (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) آل عمران (١٥٤)

وقال سبحانه وتعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) الزمر (٣) .

يعنون الاوثان الذين أشركوا بها .

أما العصبية الذميمة فهى تلك الحمية التى تكون من فرط الشعور بالانفة والاستكبار ، ومما جاء فى القرآن الكريم اشارة الى ذلك قوله تعالى . (اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) الفتح (٢٦) وفى السنة الشريفة قول النبى صلى الله عليه وسلم لابى ذر : حين سب بلالا فعيره بأمه . (انك امرؤ فيك جاهلية ، أخوانكم خولكم ...) «(٤)» .

ووصف جعفر بن أبى طالب (رضى الله عنه) للنجاشى ما كان عليه العرب مما يتصل بما قدمناه فقال . (كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الاصنام ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الارحام ، ونسيىء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ..الخ) (٥) .

وقد أدت عصبيتهم القبلية الى معارك كثيرة بينهم ، أو أيام كما نعتها المؤرخون ، فعشرات من (الايام) كانت بين القحطانيين أنفسهم ، وبينهم وبين العدنانيين ، وبين ربيعة وتميم ، وبين قيس وكنانة ، وبين قيس وتميم ، وبين ضبة وغيرها . وروى صاحب (كشف الظنون) وغيره أن أبا عبيدة قد ألف فى أيام العرب — كتابا صغيرا حوى خمسة وسبعين يوما ، واخر كبيرا جمع فيه ألفا ومائتي يوم ، وأن أبا الفرج الاصفهانى ألف كتابا جمع فيه ألفا وسبعمائة يوم (٦) .

وكان من آثار هذه العصبية فقدان العرب الاندلس ، ونكوصهم — كما قال الامير شكيب أرسلان رحمه الله — عن قلب أوربة بعد أن وطئوه بأقدامهم، وكادوا يستولون على تلك القارة. وقد كانوا كلما تم لهم الظفر فى واقعة على الاجانب، عادوا فاقتتلوا فيما بينهم بين قحطانى ومضرى ، ففشلوا وذهبت ريحهم (٧) .

واذ لم يكن للعرب دين يذكرهم الاستقامة الحقة، فلا عجب اذا كان فيهم مثل وأد البنات (لفرط غيرتهم) وشرب الخمرة ، ولعب الميسر ، والربا ، والزنى ، والامية (٨) ، واغفال الصناعة .

ولكن الذى ينبغى ألا يفوتنا التذكير به هو أن الاقوام الاخرى كانت لها حينئذ مساوىء لا تقل عما كان للعرب منها ، وكثيرا ما تربو عليها ، وان كثيرا من مآثر العرب لم تبلغها الشعوب الاخرى،

---

(١) بلوغ الأرب ج ١ ص ٨ .
(٢) راجع اديان العرب للاستاذ نعمان الجارم .
(٣) بلوغ الأرب ج ٢ ص ٢٨٦ .
(٤) صحيح البخارى .
(٥) السير النبوية لابن هشام ج ١ ص ٣٠٤ — ٣٠٥ وقد فصلنا الكلام فى العقلية العربية فى كتابنا (حضارتنا) ص ٤١ — ٥٠ .
(٦) أيام العرب فى الجاهلية للأستاذ محمد أحمد جاد المولى وزميليه ، صفحة ك .
(٧) ملحق الجزء الاول لتاريخ ابن خلدون ص ١٦ .
(٨) ذكر البلاذرى فى فتوح البلدان ص ٤٧١ أنه دخل الاسلام وفى قريش سبعة عشر رجلا يكتب ، وقد أشرنا الى ذلك والى دعوة الاسلام التعليمية فى كتابنا (الثقافة العربية) ص ٧ — ١١ .

ولم تطمح ببصرها اليها ، وان تغافل عن ذلك الشعوبيون ، فتحاملوا على العرب حقدا ومكرا وثأرا ، لانهم خفضوا بالفتح الاسلامى العربى أعلامهم ، وأزالوا سلطانهم .

— ٣ —

ورث العرب بعض مواقعهم (فى جزيرتهم) وغنموا بعضها بعد استقرارهم بما بلغوه بهجراتهم (١) وبالفتح العربى الاسلامى المبين ، فتح الهداية والمعرفة والحضارة ، فأصبحت بيئاتهم تؤلف موطنا فذا فى جملته بقلب العالم القديم ، يمتد من حدود ايران والخليج العربى شرقا الى ساحل المحيط الاطلسى غربا ، ومن جبال طوروس على حدود تركيا شمالا الى بحر العرب ومنابع النيل والصحراء الكبرى جنوبا . هذا الوطن الفالى المترامى الاطراف تلتقى عنده قارات ثلاث هى اسيا وأوروبا وافريقية ،التى كان لكل منها دورها الخاص بتاريخ البشرية ،ويمتد من سواحله من الشام بحر قديم كان مهدا لكثير من مظاهر المدنية القديمة والحديثة هو البحر الابيض المتوسط ، الذى امتاز بهدوء مياهه ، وانتظام ريحه ، وانتشار جزره وكثرة تعاريج سواحله وخلجانه ، حيث قامت المرافىء والموانىء منذ أقدم العصور . كذلك يتوغل فى هذا الشرق العربى من الجنوب ذراعان للمحيط الهندى والبحر العربى ، هما البحر الاحمر والخليج العربى ..

والحق أن هذا الشرق العربى فى جنوب غربى اسيا وشمال شرقى افريقية قد لعب بموقعه الجغرافى دورا خطيرا فى تاريخ الاتصالات العالمية ، وتاريخ البشر بوجه عام ، وساعده على ذلك أنه كان مهدا لكثير من الحضارات القديمة فى مصر وبلاد الشام وسومر وبابل واشور وعمان وبلاد اليمن ، انشئت فيه عدة امبراطوريات امتد نفوذها وسلطانها الى الشرق أو الغرب أو الى الاثنين معا . وكان فوق ذلك مهبط الديانات السماوية الثلاث ، فيه نشأت ومنه انتشرت ، ومبعث كثير من ألوان الفكر والثقافة العلمية التى بقيت على الزمن .

ولو أننا نظرنا الى تاريخ الانسانية المكتوب وحسبنا أنه يمتد خلال خمسة آلاف عام أو نحو ذلك ، لكان من الطريف أن نذكر أن هذا الاقليم الذى نحن بصدده — أو أجزاء منه على أقل تقدير — كان مركز القوة السياسية الاول ، ومبعث الثقافة والعلم والمعرفة الانسانية ، خلال ما يقارب ثلاثة ارباع تلك الفقرة .

ولو قيست أهمية أقاليم وجه الارض فى تاريخ البشر بطول الحقبة التى كانت فيها كل منها مركز السلطان ، ومبعث المعرفة ، لكانت لهذا الاقليم المكانة الاولى بين الاقاليم . ولعل من الخير والانصاف أن نتمثل هذه الحقيقة البسيطة أمام أعيننا ، حتى لا يضلنا تغيير الظروف والاحوال فى الوقت الحاضر والزمن الذى نعيش فيه فلا ندرك أهمية اقليمنا ، ولا نقدر مكانته العالمية على وجهها التاريخى الصحيح .) (٢)

أقاليم وشعب واحد

(تحجز بين البلاد العربية بعض الحواجز الطبيعية كالصحارى ، وذلك مما سبب انقسامها الى مناطق وأقاليم ، وهى .

١ — منطقة بلاد الشام ، وتشتمل اليوم على سورية ولبنان والاردن وفلسطين .

٢ — منطقة العراق .

٣ — الجزيرة العربية ، وتشتمل على المملكة العربية السعودية (نجد والحجاز) واليمن وامارات الجنوب العربى والكويت وقطر والبحرين وعمان .

٤ — وادى النيل ، ويشتمل على مصر والسودان .

٥ — المغرب العربى ، ويشتمل على ليبيا وتونس والجزائر والمملكة المغربية .

وللبلاد العربية فوق هذا امتدادات فى جنوب المغرب العربي وجنوب السودان وعلى سواحل افريقية الشرقية .

ولكن هذه المناطق والاقاليم على تعددها وتنوعها يسكنها شعب يشترك فى جميع مقوماته الاساسية

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى (الوطن العربى) للأستاذ أنور الرفاعى ص ١٦ — ٢٠ وتاريخ غزوات العرب للأمير شكيب أرسلان .

(٢) العالم العربى لجماعة من الباحثين ص ١٤٢ — ١٤٣ من كلمة فى الجامعة العربية وأسسها الجغرافية والتاريخية .

فى الحياة ، وليس الاختلاف بينها بأكثر من الاختلاف بين اقاليم البلاد الاخرى ، ومناطقها فى تنوع اللهجة اللغوية وبعض عاداتها فى اللباس والطعام وغيرها ، فى حين أن عناصر الاشتراك والتقارب لها غلبة واضحة .. (١) .

(وتمتد رقعة الوطن العربى على مسافة تبلغ اثنى عشر مليونا من الكيلومترات المربعة ، مقسمة الى ٣ر٥ مليون كم٢ فى آسيا و ٨ر٥ مليون كم٢ فى افريقيا ، فهو أوسع من القارة الاوربية جميعها .) (٢)

(ويبلغ العرب اليوم (٨٥ مليون نسمة)... فتبلغ الكثافة العامة ٧ نسمة فى الكيلومتر المربع ، وهى كثافة منخفضة) . (٣)

ـ ٤ ـ

من هو العربى

ولا جرم أن من المنطق (اعتبار) كل من يسكن هذه البلاد ويتكلم العربية ويشعر شعور أهلها الصادق عربيا ، كما أن من المنطق أن يعتبر عربيا من لم يسكن بلاد العرب ما دام من المحافظين على النسب العربى وما اليه .

أما اشتراط الجنس نسبا فى المقيمين فى بلاد العرب ـ كما يفعل علماء الالمان فى تمييز بنى جلدتهم ـ فهو من الصعوبة بمكان . هذا مع اعترافنا بأن لاصالة الجنس خصائص معينة ، لاننا نجزم بأن المواطن يعوض عن ذلك بالشعور الذى يحصل عليه بالثقافة والمخالطة ووحى اللغة ، ولكل لغة وحى خاص بمفرداتها وطرق التاليف بينها والتعبير بها ، ثم بتراثها .

لهذا جنح العلماء الامريكيون الى أن أهم دعامة تقوم عليها القومية هى اللغة والثقافة والشعور المشترك ، ولم يذهبوا مذهب علماء الالمان ـ للابسات خاصة بهؤلاء ـ فى جعل أهم دعامة للقومية وحدة الاصل والجنس (٤) .

ونذكر بهذه المناسبة بما يردده علماء الاجتماع من أن سلوك الفرد ناتج مما يتعلمه فى المجتمع الذى يعيش فيه ، فهو الذى يوجه سلوكه ويطبعه بطابع خاص يميزه من غيره ، فاذا لم يتح له عامل أقوى منه تأثيرا ثبت على ما أخذه عنه ، فالمرء يكتسب من مجتمعه اللغة والدين والعادات والعواطف والافكار السائدة ، ولو أن عربيا نسبا ودما ولد فى مجتمع أجنبى وترعرع وشب فيه ، لكاد أن يكون غريب اللسان عن العروبة وغريب العقيدة والتفكير والعاطفة والعادة والهدف ، الا اذا أتيح له من يتعهد عروبته وما اليها بما هو ضرورى لها .

الثقافة بدل الجنس

والاسلام الذى صار اليه أكثر العرب ثقافة شاملة فى جملته ، اذ لم يدع ناحية من نواحى الظاهر والباطن الا تولتها ثقافته ووجهتها وتعهدتها، فتعهدت بذلك الانسانية كما يجب أن تكون ، فاذا تأثر بذلك متأثر كما ينبغى، فقد بلغ ما هو مرجح ألف مرة ومرة على الهام الجنس وحده .

فاذا اجتمع للمرء الحسنيان . أصالة النسب وأصالة الهداية ، فقد بلغ مستوى رفيعا من الخصائص الطيبة والانسانية الصادقة وسلوكها المثالي ، واية ذلك الجيل العربى الاول الذى تعهده الاسلام فعاش فى حماه مستتما نعمة الله بالشكر، وكان له المجد على طرف الثمام ، ففتح أبواب الامم ، وضرب آباط الامور ومغابنها ، واستشف ضمائرها وبواطنها ، وبنى مالم تستطعه الاوائل ، وما تفاخر به الاواخر ، وهذا الجيل فى مراتب الكفاية والشرف على تفاوت ، لذلك جاء فى الحديث الشريف . (الناس تبع لقريش فى الخير والشر (. قال النووى معناه فى الاسلام والجاهلية ـ كما صرح به فى الرواية الاخرى ـ لانهم كانوا فى الجاهلية رؤساء العرب ، واصحاب حرم الله تعالى ، وأهل حج بيت الله ، وكانت العرب تنتظر اسلامهم ، فلما أسلموا وفتحت مكة جاءت وجوه العرب من كل جهة ، ودخل

---

(١) الامة والعوامل المكونة لها للأستاذ محمد المبارك ص ٨ و ٩ .

(٢) الوطن العربى ص ٩ .

(٣) جغرافية الوطن العربى والجمهورية العربية السورية للأستاذ صلاح الدين السفرجلانى ص ٦ (آلة ناسخة) .

(٤) حول القومية العربية للدكتور جابر العمر ص ١٠ .

الناس فى دين الله افواجا . وكذلك فى الاسلام هم أصحاب الخلافة والناس لهم تبع (١) .

ـ ٥ ـ

قدماء ومحدثون

نعود الى بداية ما نحن بسبيله ، فنذكر (٢) بان الأمة العربية منها القدماء ومنها المحدثون . فالعرب القدماء ثلاث طبقات .

أولاها العرب البائدة وهؤلاء لم يصل الينا شيء صحيح من أخبارهم الا ما قصه الله علينا فى القرآن الكريم والا ماجاء فى الحديث النبوى ، ومن أشهر قبائلهم .

طسم ، وجديس ، وعاد ، وثمود ، وعمليق ، وعبد ضخم .

ثانيتها العرب العاربة ـ وهم بنو قحطان الذين جلوا عن سقى الفرات واختاروا اليمن منازل لهم، وامتزجت لغتهم بلغة سابقيهم ، ثم انتشرت فى انحاء الجزيـــرة ، ومن أمهات قبائلهم كهـــلان وحمير ...

وثالثتها العرب المستعربة ـ وهم بنو اسماعيل الطارئون على القحطانيين ، والممتزجون بهم لغـة ونسبا ، والمعروفون بعد بالعدنانيين ، ومن أمهات قبائلهم ربيعة ، ومضر ، واياد ، وأنمار (٣) .

والعرب المحدثون . هم سلائل هؤلاء الأقـوام الممتزجون بسلائل غيرهم ، والمنتشرون بعد الاسلام فى بقاع الأرض ... ويتكلمون بلهجات عامية مختلفة ترجع الى اللغة العربية الفصيحة التي يتعرفونها بالتعلم .

ـ ٦ ـ

العالم العربى الآن

هذا العالم الذى تحدثنا عن مهده ونسـبه ولغته وخطورته .... عانى أزمات مادية وروحية وفكرية وأدبية واجتماعية واقتصادية ، ولا يزال يعانى الكثير من هذه الأزمات ، ويرجى أن تصلح شؤونه بتشبثه بمقومات تراثه الشامخ واغتنامه كل صالح مشروع من نهضات الأمم السابقة فى أمور دنياها ، وتعاونه وأقطار العروبة والاسلام على هدى وبصيرة وأحكام .

ومما نحمد الله عليه أن أكثر أقطار العروبة تنعم الآن باستقلالها ، وان كان هذا الاستقلال درجات قوة وضعفا ، تقيدا وانطلاقا ، وأنها توالى جهادها فى سبيل استكمال حريتها (٤) ، ولقد قوى استقلال الجـــزائر التي ضربت أروع الأمثال فى الجهاد والنضال حتى بلغت نعمـــة الاستقلال ـ آمال المجاهدين العرب ، ليتابعوا جهادهم ونضالهم ، ويبلغوا حريتهم واستقلالهم ، وفى مقدمتهم أحرار فلسطين وعمان والجنوب العربي .

الجامعة العربية

وقد غدا التعاون العربى منذ عشريـن عامـا عمليا ـ الى حد ما ـ ماديا ومعنويا ، ففى عام ١٩٤٥ قامت الجامعة العربية التي نص ميثاقها على (توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر بصفة عامة فى شؤون البلاد العربية ومصالحها) .

ولقد كان هذا التعاون فى مجالات السياسـة والثقافة والاقتصاد ـ وان اكتنفته بعض الشوائب ـ فاثمر مزية الوجود الدولى للسياسة العربية ، اذ برزت فيه (الكتلـة العربية) ، وكان لهـا نضالها فى السياسة الدولية ، قويا أو ضـعيفا تبعا لدرجة سلامة الجامعة من التأثـر الخارجي ومؤتمراته ومؤامراته ومحاولاته وأحلافه وتضامن أعضائها فى سياستها الخارجية الموحدة ، ونشدانها

---

(١) فى كتاب تاريخ الأدب العربى تبيان لرجحان لغة قريش .. ومعلوم أن اللغة مرآة العقلية والكفاية .. أما الحديث الذى أوردناه فقد نقله العلامة المناوى فى فيض الغدير ج ٦ ص ٢٩٤ ونقل ما ذكره الامام النووى فى شرحه وبين المناوى أن الحديث أخرجه الامام أحمد فى مسنده والامام مسلم فى صحيحه عن جابر .

(٢) الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه للأستاذين الاسكندرى والعنانى ص ٥ و ٦ .

(٣) من تعليقات الأمير شكيب أرسلان الممتعة جدا على ما ذكره ابن خلدون فى الجزء الأول من كتابه ، بحث مستفيض فى الانساب العربية من ص ٣ ـ ٢٢ (من ملحق الجزء الاول لتاريخ ابن خلدون) .

(٤) راجع تاريخ اليقظة القومية للأستاذ أمين سعيد .

المصلحة العربية الخالصة مصورة بالحرص على الحرية والسلام الخاص والعام .

ولا اخال الاستعمار مهما بلغ حقده وتآمره ، يقوى بعد أن تضامن العرب الآن تقريبا ـ على مثل ما قوى عليه حين ضمن الوطن الصهيوني فى فلسطين العربية ، التي هبت ثورتها وحيدة عام ١٩٣٦ لتناهض الصهيونية والاستعمار بكل ما أوتيت من قوة ، فكانت هذه الثورة حقا عنصرا هاما فى لفت أنظار العرب الى الخطر المحدق بهم ، والى ضرورة تعاونهم وتضامنهم ، والى وجود رابطة عربية فعلا ـ كما قدمنا ـ فكانت الجامعة العربية التي عنى ميثاقها بفلسطين ، اذ كان له ملحق خاص بها ، نص على استقلالها شرعيا وعلى اشتراكها فى مجلس الجامعة عمليا .

ولست أعنى أن الجامعة العربية مبرأة من كل تقصير سياسيا وثقافيا (١) واجتماعيا .. ولكنى أعنى الاشارة الى فضلها فى جملته ، والاشادة بآثارها على علاتها ، ولسنا الان بصدد تبيان الاخطاء وأسبابها .

وقد التقى العرب أخيرا وكثيرا فى مؤتمرات سياسية وثقافية واقتصادية ، وكانت لقاءات على مستوى عال فى عدد من عواصم ، ويرجى ـ على ما كان فى بعضها ـ أن تتخلص الأمور تدريجيا من انحرافاتها وتسير الى هداية وعزة بوحى تاريخنا المشترك ونضالنا ووعينا الصحيح الشامل ، معنويا وماديا .

واذكر بأن الرابطتين الاسلامية والعربية المؤمنة، هما دائما على وفاق وانسجام ، على أن تتسع النظرة وتوجد الغاية ويتعاون أنصار الرابطتين على بصيرة ووعى ، ولمصالح العالمين الاسلامي والعربى وسعادتهما ، ثم لسعادة الانسانية جمعاء.

ولا ينكر كل مسلم الا من كان طامس القلب لا يعى أن فى العروبة طاقات غذاها الاسلام ، وكفايات نماها وزودها بكل ما ينبغي لها ، وأنه حبا العرب ـ الذين كانوا شعب الاسلام الأول ـ كل اسباب النهوض الصحيح والتقدم الرشيد ، فانتقل العرب بذلك من وجودهم القبلى وعصبيتهم العمياء الى وجودهم الانساني وجود التعارف والتآلف والتعليم والتوجيه ، فكان الاسلام الذى تنزل كتابه عربيا مبينا على الرسول العربي صلى الله عليه وسلم تعبيرا صادقا عميقا عن انسانيتهم الرفيعة ، وآمالهم الصادقة ، فحبوا البشرية ـ بفتحهم الانساني ومجدهم المثالى ـ ، محبتهم القلبية ، وهدايتهم السماوية .

تضامن الهداية والعروبة

فانظر تضامن الهداية والعروبة الحقة فى قوله تعالى . « وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق » الرعد (٣٧) .

وانظر الى ترداد هذا المعنى وتوكيده بمثل قوله تعالى . « وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين » . الشعراء ـ ١٩٣ ـ ١٩٦ .

وانظر الى الانسانية الشاملة أو التقاء القوميات تحت راية التقوى فى هذا الكتاب العربي المبين ، وذلك فى قوله تعالى . « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » الحجرات ـ ١٣ .

بذلك ونحوه طرقت فتوح العرب أبواب الدنيا ، وانفذت مبادىء دينهم شعوب الارض ، وأظلت حضارتهم الاسلامية العربية الأمم ، وهذا بعض معانى قوله تعالى . (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون) الأنبياء ـ ١٠ .

كان هذا الكتاب تذكيرا للعرب ـ وغيرهم ـ ، اذ نبه ووجه ورغب وحذر ، وكان ذكرا اذلم يجهل العرب بعده أحد ، بعد أن صار هذا الكتاب دعوتهم المنيرة ، وحياتهم الرشيدة ، ومجدهم الباذخ ، وشرفهم الرفيع ، ولولاه ما حلوا بطائل ، ولا حظوا بنائل ، وكلما غفلوا عنه أطبقت عليهم حنادس الظلام ، وطمت عليهم الفتن العمياء ، وتجهمتهم الأمور السود ، ونزلت بهم النوازل والعظائم ، فأصابتهم جفوة المجد ، وحل فيهم ضعف السلطان أو زواله ، فيستعقبون من أمرهم الندامة ، ولا معقب لحكم الله . والله تعالى يقول : (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) ق ـ ٣٧ .

---

(١) انظر (فى وكر الهدامين) للاستاذ الدكتور محمد محمد حسين .

الإسلام والحضارة

٢

للدكتور مازن مبارك
الاستاذ بجامعة الرياض

نظرة الاسلام الى الانسان

ليس الصراع الذى يدور اليوم بين دول العالم والذى تستعمل فيه أنواع الأسلحة ووسائل القوة الا صورة ظاهرية للصراع الحقيقي بين أفكار تلك الدول ومعتقداتها ، وذلك لأن كل عمل من الأعمال هو فى حقيقته تجسيم لفكرة من الأفكار ينبثق عنها ويصدر بوحي منها ، وما أسهل أن نعلل كل تصرف ونحكم على كل عمل ونحدد اتجاهه اذا عرفنا الفكرة الدافعة اليه والأساس الاعتقادى الذى صدر عنه ذلك العمل . اذا كنا نعجب للوهلة الأولى من التناقض الشديد بين عملين ، تقوم أمة فى احدهما بتقديس البقر مثلا وعبادته ، وتقوم أمة أخرى فى ثانيهما بنحر البقر ... فما أسرع زوال دهشتنا اذا عرفنا الفكرتين الأساسيتين اللتين انبعث عنهما العملان ، فكرة التقديس التي انبعثت عنها عبادة البقر عند الهندوس ، وفكرة الأضحية التي انبعثت عنها اراقة دماء الاضاحي عند المسلمين . ان ما بين العملين من الاختلاف صورة ظاهرة لما بين المعتقدين من التباين ، والى هذا الاختلاف فى المذاهب والافكار يرجع اختلاف الدول فيما بينها فى نظم السياسة والاقتصاد ومناهج التربية والتعليم اذ تصوغ كل منها فى كل ميدان من ميادين الحياة ما يتناسب مع مذهبها ويلائم عقيدتها .

فما هي نظرة الاسلام العامة الى الوجود ؟ الى الانسان والى الكون (١) وما هى صفاتها العامة ؟ وهل هي صفات ملائمة للتطور صالحة لبناء الحضارة ؟ .

ان نظرة الاسلام العامة الى الكون وما فيه من مخلوقات هى فى الاسلام منطلق كل تشريع وأساس كل نظام ، وعلينا أن نقف عندها مستعرضين دارسين .

---

(٢) انظر « نظرة الاسلام العامة الى الوجود وأثرها فى الحضارة » للاستاذ محمد المبارك .

كان العالم قبل الاسلام ينظر الى الكون نظرة فيها الكثير من الاوهام والخرافات ، وفيها الكثير من الغموض والنقص ، كان بين الامم من آمن بآلهة كثيرين..وكان هناك من آمن باله أو آلهة ايمانا يشوبه الشرك وتختلط فيه عبادة الله بعبادة الاصنام التي هى على زعمهم انما تقرب الى الله زلفى .. وكان هناك من آمن بالكواكب وسجد للشمس والقمر .. وكان بين الناس من آمن بغير ذلك من ارواح شريرة تسيطر على العالم ، أو أشباح ذات أجنحة نسمع حفيفها عند هبوب الريح .. وكان بينهم من آمن باليهودية ومن آمن بالنصرانية .

ولما جاء الاسلام كان أول من أعطى عن الحياة والكون والمخلوقات فكرة عامة غير ناقصة ، واضحة غير مبهمة ، معقولة لا أثر فيها للوهم او الخرافة، فلقد ازاح الاسلام الستار عن حقيقة الخلق وكشف القرآن الستر عن حقيقة « الانسان » فى مصدره ومنشئه ومادة خلقه : وتحدث عن مراحل نموه وتطوره .. انه من صنع الله الخالق العظيم الذى خلقه وخلق جميع ما يدب على الارض (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على اربع) (١) وأما المادة التى خلق منها الانسان فهي الطين والماء (وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه) (٢) . وأما مراحل خلقه من كونه طينا الى كونه بشرا سويا فهي واضحة التصوير فى القرآن (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين (٣) وقد عددها مرة أخرى فقال (يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر ...) (٤) .

وليس لهذا الاصل الترابى أو لذاك الماء المهين أثر فى كرامة الانسان أو الحط من قيمته ، فهو مخلوق مكرم مفضل على غيره (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا(٥) بل لقد امر الله ملائكته بالسجود لهذا المخلوق الكريم (اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (٦) وقرر القرآن وحدة المنشا حين اعلن أن البشر جميعا من أصل واحد سواء فى ذلك قديمهم وحديثهم ، (يايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) (٧) ذكرهم وأنثاهم (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء..) (٨) ابيضهم واسودهم (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ، ان فى ذلك لآيات للعالمين) (٩) .

لقد كانت هذه النظرة الى الانسان نظرة جديدة تطالع العالم لاول مرة بعد أن كثرت ضلالات الامم فزعم بعضها ان الانسان نوعان: بشر وبربر ... وزعم بعضها ان الانسان جنس واحد هو الذكور فقط ..

---

(١) سورة النور ٤٥ (٢) سورة السجدة ٧ ـ ٩ (٣) سورة المؤمنين ١٢ ـ ١٤
(٤) سورة الحج ٥ (٥) سورة الاسراء ٧٠ (٦) سورة ص ٧١ (٧) سورة البقرة ٢١
(٨) سورة النساء ١ (٩) سورة الروم ٢٢

ولعل أجدر ما ينبغى أن نقف عنده فى نظرة الاسلام الى الانسان ، بعد تقريره لوحدة المنشأ ومراحل الخلق وأطوار النمو هو هذه الواقعية التى تتصف بها نظرته ، وهي واقعية ذات أثر بعيد فى بناء الحضارة الانسانية وعمارة الكون ، لقد نظر الاسلام الى الانسان فى واقعه البشرى فقرر أنه ليس ملكا طاهرا مصفى، ولا شيطانا كله رجس ونس، وانما هو ـ تمشيا مع خلقه الترابى الروحي ـ من لحم ودم وعاطفة وشعور ، وحب وشهوة ، ومن عقل وارادة وروح ، وهو يتمتع بما وهبه الخالق من سمع وبصر وفؤاد تمتعا لا ضرر فيه ولا ضرار، اذ أنه مسؤول عن حواسه (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) (١) .

ان القرآن اذا وصف الانسان وصفه على حقيقته البشرية وعدد ما يرغب فيه بطبيعته من نساء وأموال وبنين وما تزينه له شهوته وما توسوس به نفسه (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث...)(٢) وما دام الاسلام يعترف بما جبلت عليه طبيعة الانسان من شهوة وحب لتلك المتع فلن يكون فيه ما يصدم الطبع ، وان كان فيه ما يهذبه ، ولن يكون فيه ما يعارض الفطرة وان كان فيه ما يسمو بها . ومن هذا الموقف المتوسط بين الاعتراف بغرائز الانسان ، وعدم الاسراف بتقريرها ، واطلاق العنان لها ، يستمد الاسلام حلا لمشاكل الانسان الغريزية وذلك بايجاد متنفس يحقق الانسان رغبته عن طريقه بصورة معقولة . واعترافا من الاسلام بهذه الغرائز الفطرية فقد نهى عن الرهبانية ، لانها كبت يعارض الفطرة وأباح حق التملك لانه من اصل الفطرة .

لقد كان لهذا الموقف الاسلامى المعقول من غرائز الانسان أثره البعيد فى النفس الانسانية التى قدم الاسلام لها نماذج انسانية رائعة ، وصل اصحابها الى درجة رفيعة من السمو النفسي والكمال الانسانى . لقد أعطت تلك النماذج الانسانية الاسلامية أكبر برهان على أن تحقيق الرغبة والتنفيس عن الغرائز بشكل معقول هو خير وسيلة لئلا يفكر الانسان بها ، ولان يلتفت الى الرقى بنفسه ، والسمو بروحه ، ليحقق رسالة السماء فى الارض وليصبح أهلا لحمل الامانة الثقيلة التى عرضت على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان .

على ان الاسلام الذى اعترف للانسان بغرائزه ، لم يتركه حرا يفرق وراء شهواته فى بحار المتعة وانما حدد له الطريق ، ورسم له المعالم ، ووضع القيود ، ثم أيقظ فى الانسان ضميره وجعله وازعا نفسيا شديد الوطأة ، بل أقامه حارسا أمينا حازما ، وهو ضمير طالما دفع بالمسلم الى العمل ، وطالما جنبه الاثم ، وطالما ارقه الليل ، وشدد عليه الحساب .. فكان لعمرى أقوى فى نفس المسلم من أى حافز ، وأوقع من أى قانون ، وأحزم من أى محكمة .

وكما نظر الاسلام الى الانسان فى نفسه، نظر اليه فى مجتمعه ، فقرر أن الانسان عضو فى المجتمع الانسانى ، وانه لاتفاضل بين أبناء هذا المجتمع المتساوين فى المنشأ والمصير بسبب من أسباب النسب أو الثروة او اللون ، وانما يكون التفاضل بينهم بالعمل الصالح ، والعمل الصالح من مستلزمات الاسلام ، وهو مقرون فى القرآن بالايمان .

وهكذا ارتفع الاسلام بالانسان فوق شهواته جميعها بعد الاعتراف بها ، وبمشروعية تحقيقها ، كما ارتفع به فوق العصبيات القبلية والقومية، وربطه بعالم الانسانية الواسع غارسا فى نفسه أنه رسول خير وعدالة وهدى الى الناس كافة، وأن الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم الى الله أنفعهم لعياله ...

للبحث صله

---

(١) سورة الاسراء ٣٦

(٢) سورة آل عمران ١٤

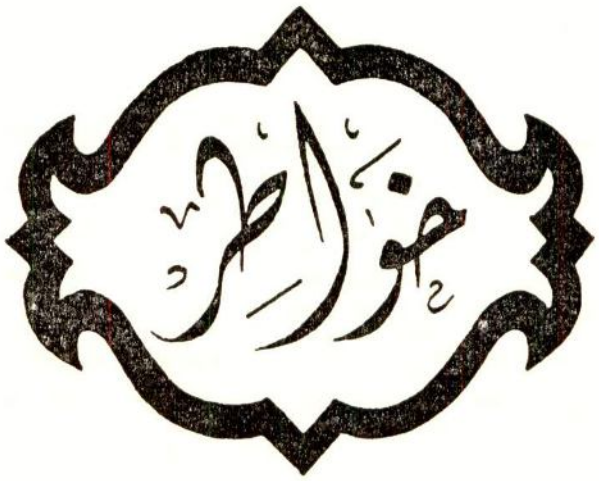

من هنا .... وهناك

يكتبها الشيخ ع.النمر

شـــكر وانصاف

كتبت فى العدد الماضى متأسفا لمنع دخول المجلةلسوريا الشقيقة كما تحدثت عن المجلات الخليعة وخطرها ، ثم كانت لى بعد ذلك رحلة للبلاد العربيةومنها سوريا ... وسألنى كثيرون عن المجلة .... ودار الحديث مع كثيرين عن منعها .. وكانوا يدهشون ويتألمون ، ثم كانت لى جلسة فى مصيف « بلودان » مع الاستاذ زكى الارسوزى أحد كبار المفكرين الذين لهم تأثيرهم وتقديرهم لدى رجال الحكم فى سوريا ، وجرى الحديث بيننا الى المجلة فتعجب هو الآخر من منعها بعد أن اطلع على بعض أعداد ، وأكد لى أن لا بد من سوء فهم لوضعها .. وتعهد ببحث موضوعها.. ومع أننى كنت حريصا على أن أوفر لنفس قسطها من الراحة والاستجمام الا أن حرصى الآخر على أن يقرأ اخواننا السوريون المجلة جعلنى أتابع هـــذا الموضوع الى نهايته .

فكان لى لقاء آخر مع الاستاذ صابر فلحوط ـ مدير الرقابة بوزارة الاعلام ـ اطلع خلاله على بعض أعداد من المجلة كانت معى .. وحدثته عن آثار منع مثل هذه المجلة الهادفة البناءة فى الوقت الذى تفتح فيه الابواب لسيل المجلات الهادمة للاخلاق والروح بماتنشره من صور عارية فى أوضاع شاذة ، ومن كلام تافه وآخر جنسى يحطم روح الامة ، ويزلزل قوتها ، فى وقت نقف فيه جميعا على خط النار متأهبين .. وكان رجلا متفتحا متجاوبا فأسرع يقول لى لقد منعت كل هذه المجلات ومد يده الى احداها وأرانى صورا فى غاية الشذوذ .. ثم قال لقد منعنا أيضا الاستعراضات الراقصة التى تقدم فى دور السينما قبل عرض الافلام، محافظة على روح الشباب والشابات وأخلاقهم ..فهنأته على هذه الخطوة .. ثم قلت له . اذن نحن متفقون فى هدف المحافظة على أخلاق الشباب وتربيتهم تربية سليمة ثم تواعدنا على اللقاء ثانى يوم .. وقد حرصت على أن أؤكد له اننى أحدثه ـ بعيدا عن الرسميات ـ حديث معنى بمصير هذه الامة ، وبحسن توجيهها وجهة تتفق مع دينها وتقاليدها ، والاسس الثابتة التى لا تقوم نهضتها الا على أعمدتها .

وفى الموعد المحدد تلاقينا .. واستقبلنى بحيويته وبشاشته ـ وهو أديب وشاعر كما قيل لى ـ وقال « لقد انتهى الامر » وعلى الرحب والسعة تدخل المجلة. البلد بلدها .. وان كانت ستخضع للرقابة كبقية المجلات التى تدخل عندنا. لقد كنا نظن أن لها خطا آخر تسير فيه، وشد على يدى وهنانى على المستوى الرفيع الذى تصدر به ، وعلى خطتها البعيدة عن الدخول فى الخلافات بين رجال العرب ...

فشكرته بدورى على تحيته ، وكررت له تهنئتى بموقفه من المجلات الخليعة . ورجوت أن يكون هذا هو موقف الرقابة فى جميع البلاد الاسلامية محافظة على أخلاق النشء فيها ، وصيانة لدورها التاريخى المنتظر فى محو العار الذى لحق منذ أن استقر الافاكون فى قلبهـا ..

وقد علمت بعد ذلك من الشركة العربية للتوزيع فى بيروت أن الرقابة فى العراق أيضا منعت دخول هذه

المجلات فقلت . والبقية تأتى ان شاء الله ، فليستالبلاد الاسلامية الاخرى بأقل فطنة أو غيرة على دينها ومصيرها من البلاد التى منعتها ..

لماذا ؟

حرصت على أن اقضى بعض الوقت فى ربوع لبنانكذلك اتعرف عليها . وحرصت أكثر على أن يكون قضاء هذا الوقت فى منطقة محافظة بعيدا عن الضجيج وغيره.. فأشار على الاصدقاء بالذهاب الى « سير » شمال لبنان وعملت بمشورتهم وأنا أكتب هذا فىحديقة فندقسير أو « سير بلاس أوتيل » بعد أن قضيت وقتا فى جلسة فكرية طيبة مع سماحة الاستاذ الكبير الشيخنديم الجسر مفتى طرابلس الذى قدم لزيارتى ، وبعد أن عدت من جولة قصيرة أشار على بها رجل فاضلمن أهل البلد لرؤية النبع الذى تنحدر اليه المياه من باطن الجبل . وكنت أنا ذاهب الى هذا النبعامنى النفس بمنظر يشرح الصدر ، ولكنى أشهد أننى عدت منقبضا ، فقد رأيته تحيط به مناظر متخلفةتثير الاشمئزاز . ونظرت لصاحبى وقلت له . لماذا يترك هذا الموقع هكذا ؟ . قال . مع الاسف لو جاء رجلآخر لاحسن استغلاله . فقلت . ولماذا لا تستغلونه أنتم ؟ هل ينقصكم العزم والروح والذوق والمال ؟ ألايكفى ما فات المسلمين وقد رأوا الدنيا من حولهم ، ورأوا غيرهم يزحف ويجيد دوره فى استغلال الحياةحوله ؟ فالى متى ؟ ..

فكرة

على جانب احد سيارات الركوبالعامة «الباصات»استلفت نظرى وانا سائر فى أحد شوارع دمشق ـ لافتة شعرية مكتوبة بخط جميل على جانبه فوقفتاقرأ ـ وكان « الباص » قادما من طرابلس لبنان .. فكان المكتوب

اذا رأيت الكلب فى أيام دولته ... فاجعل لرجليك أطواقا من الذهب
وأعلم بأن عليك العار تلبسه ... من عضة الكلب لا من عضة الاسد

فكرة جديدة واتجاه طيب فى استغلالجوانب السيارات ـ والكبيرة بنوع خاص فيما يفيد . أليس كذلك ؟

البشر أم البقر ؟ .

استرعى نظرى عنوان جانبى فى ملحق الاهرامبجانبه صورة لرهبان الهندوس جالسين على الارض أمام البرلمان الهندى يقول هذا العنوان . الهندوسيطالبون بوقف مذابح البشر « فسررت لاول نظرة وقلت حسنا انهم يعلنون عن آرائهم تجاه المذابحالبشرية التى تحدث فى فيتنام وغيرها . وتابعت التعليق على الصورة فاذا أنا فى واد والحقيقة فىواد .. واذا بالسبب فى هذا خطأ مطبعى كتب «البشر» مكان « البقر » اذ أنهم يعربون عن احتجاجهم علىاستمرار المسلمين فى ذبح البقر واتخاذ لحمها طعاما لهم » ويتابع الاهرام تعليقه فيقول « والمعروف أنالبقرة هى أعلى الحيوانات فى مرتبة القداسة عند الهندوس ، وعلى الرغم من المجاعة الحالية التىتتعرض لها الهند ، فهم يصرون على ترك الابقار تمرح فى الشوارع دون أن تمسها سكين أى جزار » وهذهالمعلومات عرفتها على الطبيعة حين أقمت فيها أكثر من سنتين ، بل عرفت أن نقاشا دار فى البرلمان لفرضمعاش للبقر الذى يتقاعد عن العمل حتى لا يغرم صاحبه مئونته دون أن يؤدى له عملا فيدفعه ذلك الىالتخلص منه ، فكل واحد عنده بقرة عجزت عنالعمل يأخذ لها معاشا من الدولة يعينه على المحافظة علىحياتها حتى ينقضى أجلها ... وغير البقر من القرود يتمتع بشيء من هذه القداسة ، والسبب اسطورةتاريخية تقول ان القرد تدخل فى قديم الزمان لانقاذ آلهة من آلهتهم او بالضبط لانقاذ سيتا التى صارتفيما بعد تأخذ مكانها فى صف الالهة عندهم ، وكان هذا التقديس سببا فى احجام الحكومة الهنديةمرةعن تصدير بعض القرود للخارج لاجراء تجارب عليها ، وذلكخوفا منالاساءة الى الشعور الدينى الهندوسى..

وأعود الى العنوان فأقول هل جاء هذا الخطأالمطبعي لتصحيح وضع أو فكر ..

الإسلام والأدب

للاستاذ عزت العزيزى
عمان ـ الاردن

الكلمة وخطورتها

بالكلمة كان الوجود ، وبالكلمة قامت السموات والارض ، وبالكلمة تغير التاريخ مرات ومرات ، لم يتحول التاريخ تحولاته الخطيرة الهائلة بتغير وسائل الانتاج ، ولا سواها، كما يزعم أفاقو الديالكتيكية، فالحضارة المسيحية لم تقمها طبقة ، فما قام السيد المسيح للدفاع عن البروليتاريا ، ولا عن البرجوازية ، وثورة الاسلام الرائعة العجيبة ما قامت بها طبقة ضد طبقة ، وما حركتها آلة ، ولا اثر فيها اقطاع ، ولا أشعلها برجوازى أو رقيق .

انما هي الكلمة القاهرة التى لم تنبعث حتى من الارض بما فيها من طبقات وتصارع على الطعام والشراب ، وانما هبطت من السماء على قلب الانسان (اقرأ باسم ربك الذى خلق) .

أسرت هذه الكلمة الانسان الرسول ، فلم يملك الا ان يصدع بها ، أيقظته من النوم فلا هجوع ولا رقود (يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر) .

وانى للانسان ان يقاوم سحر الكلمة ؟ لقد كانت سلاح محمد الرسول عليه صلوات الله وسلامه ، بها قاوم الكفر والالحاد ، فأيقظت قلوبا ، وفتحت أبصارا وآذانا ما أراد أصحابها أن يوقظوها أو يفتحوها .

هاجم النظم الفاسدة الظالمة فى ميادين الاقتصاد والسياسة والاجتماع والاخلاق ودمرها بالكلمة أولا ، ثم اقام مكانها نظام الاسلام الرائع العادل ، فانتصرت الكلمة قبل أن ينتصر السيف والساعد القوى، انتصرت رغم ضعف الساعد وفقد السلاح ، حتى ظن الواهمون انه السحر ، لانهم فعلا قد سحروا بروعة الكلمة ، فألقوا سلاحهم رغم ارادتهم ، وانى لهم مقاومة الكلمة ، وهي تسير الجبال لو ألقيت عليها ووعتها ؟ (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) .

نعم ان جبال المقاومة للحق أعتى وأقوى من أعظم جبال العالم ، ولقد صدعها القرآن الكريم ، وما القرآن الا الكلمة الواعية الهادفة الساحرة بالحق .

هذا القرآن هو الذى وضع حدا للادب الفارغ

- الإسلام يعني بالأمة ويقدر خطورتها .
- كيف طوّر الإسلام أدب الجاهليّة ؟
- هل ظل الأدب العربي كما طوّره الإسلام ؟
- أدبنا الحديث وإلى أين يسير ؟
- هل يعيش أدباؤنا في سلبيّة ؟

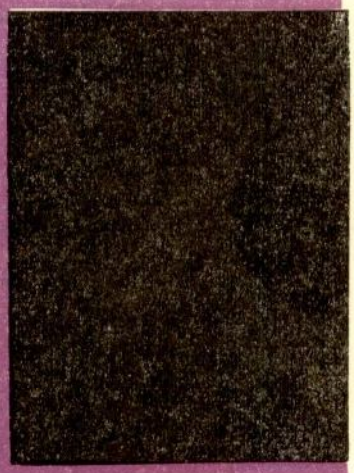

اللا هادف ، كما وضع حدا للحياة الفارغة اللاهادفة .

الأدب الاسلامي

بالقرآن بدأ الادب الاسلامي ، ومن القرآن استمد الادب الاسلامي وجوده ، ومن القرآن استقى معينه ، اذن : ما هو الادب الاسلامي ؟ .

أرى أننا نخطىء خطأ كبيرا اذا اعتقدنا أن الأدب الاسلامي يعني قطاعا زمنيا معينا ، فنسمي كل ما أنشىء من الأدب في هذه الفترة او تلك ادبا اسلاميا ، ان الاسلام بطبيعته لا يعترف بقيود الزمان ، كما لا يعترف بقيود المكان ، بل يتحرر من قيودها جميعا ، ويحرر كل ما يتصل به من كل قيد يحد من امتداد الفكر الى ارحب ما يمكن من الآفاق . فلا يكون الشيء اسلاميا لانه عاصر الاسلام ، كما لا يكون غير اسلامي اذا لم يعاصره « فابراهيم الذى كان قبل الاسلام بقرون عديدة مسلم ، لانه التقى مع الاسلام على صعيد العقيدة والفكر ، رغم أنه لم يلتق بالاسلام زمنيا » .

وعلى هذا فلا يمكننا أن نعتبر أدبا ما أدبا اسلاميا ، الا اذا انطبق عليه مفهوم الادب الاسلامي . فما هو اذن مفهوم هذا الأدب ؟ .

الأدب قبل الاسلام

عندما جاء الاسلام كان عند العرب أدب ، وكان لهم شعر ونثر وكان أدبهم ينبثق عن طبيعة الحياة العربية قبل الاسلام ، والتي سماها الاسلام حياة الجاهلية فكان ذلك الأدب أدبا جاهليا .

كانت تسيطر على تلك الحياة روح النظام القبلي من جهة ، والفردية الذاتية من جهة ثانية .

فالقبيلة هي التي تمنح الحماية للافراد ، وعلى أساسها تقوم العلاقات الاجتماعية بينهم ،فعلاقة الانسان بالانسان يحددها المفهوم القبلي والنظام القبلي ، فمن هذه الزاوية على الاديب ان يسخر أدبه لخدمة القبيلة التي ينتمي اليها ، دون أى اعتبار انساني او اخلاقي غالبا .

فما أنا الا من غزية ان غوت
غويت وان ترشد غزية أرشد

فاذا تجاوزنا ما تمليه ظروف ارتباط الفرد بالقبيلة من الولاء لها ، والدفاع عنها ، ومخاصمة أعدائها ، تلك الخصومة التي لا تقوم على أى أساس من الانسانية او الحق أو العدل ، اذا تجاوزنا ذلك فالفرد حر بنفسه والأديب حر

بأدبه ، فله أن يبيعه أو يؤجره ، وهذا ما كان يفعله شعراء المدح والهجاء ، يقبضون الثمن ، فيرفعون الممدوح على قدر ما دفع ، لا على قدر ما يستحق ، ويقبضون الثمن فيهجون له من يريد على قدر ما دفع كذلك من ثمن لشتم أعراض الناس وتجريحهم .

أما حين لا يؤجر الأديب أدبه مادحا أو هاجيا ، فلا يجد الا ان ينطلق مع ذاته ، يتتبع شهواته وغرائزه ومتعه التي تنطلق غالبا دون أن تتقيد بقيمة من القيم ، فالحياة عند معظم شباب العرب فى جاهليتهم كما قال طرفة (خمر ونساء وحرب) .

ولا يعني هذا ان لا يبرز بين الفنية والفنيةاديب شاعر ، أو خطيب يثور على الاوضاع القبلية الظالمة ، أو الفردية المنحرفة الفارغة ، كزهير بن أبى سلمى ، ولبيد ، وقس بن ساعدة ، وغيرهم ولكنها صيحات فردية كانت تضيع فى الموج الهادر .

أدب العقيدة

وعندما حدد الاسلام مفهوم الادب رفض ذلك كله ، رفض الأدب القبلي ، لانه رفض القبيلة والنظام القبلي ودعا الى تكوين مجتمع يقوم على غير الاسس القبلية او العنصرية او الاقليمية . مجتمع واسع قادر على اذابة الالوان والاجناس والحدود الجغرافية ، لان علاقة الناس فيه أوسع من ذلك كله ، تلك علاقة العقيدة والفكرة ، يستوىفيها البشر مهما اختلفتألوانهم وأجناسهم وبلادهم .

ولم يكن ذلك فى الاسلام مجرد نظرية ، بل كان واقعا حقيقيا قائما ، حققه الرسول عليه الصلاة والسلام فى الجماعة الصغيرة المؤمنة فى مكة ، ثم فى المجتمع الصغير فى المدينة ، ثم فى المجتمع الكبير فى جزيرة العرب ، ثم أتم العمل أصحابه ، فحققوه فى المجتمع الاكبر الفريد فى أوسع دولة فى العالم القديم ، ضمت أجناسا وألوانا ولغات وأقاليم شتى ، كانت قبل الاسلام تشكل دولا وشعوبا مختلفة فيما بينها أشد الاختلاف .

وبناء على ذلك أقام الاسلام ادب العقيدة والفكرة مقام أدب القبيلة ، وبذلك منع الادب القبلي بجميع اشكاله وألوانه (من دعا الى عصبية فقد دعا بدعوى الجاهلية) ، (ليس منا من دعا الى عصبية) ، (دعوها فانها منتنة) ، (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) (١) ، (لا فضل لعربى على أعجمي ولا لاعجمي على عربي ولا لاحمر على أسود الا بالتقوى) ، (الناس سواسية كأسنان المشط) .

وهكذا حول الادب من الارتباط بالقبيلة ومثلها الارضية الزائفة الى الارتباط بالعقيدة والفكرة دون أى اعتبار لغيرها ، فوقف حسان بن ثابت الخزرجي يدافع عن محمد بن عبد الله القرشي ، ويهاجم قريشا قبيلة محمد صلى الله عليه وسلم نفسه ، أو يهاجم بعض الخزرج أنفسهم ، ان كان فيها منافق يعادى محمدا والاسلام ، وسخر أدبه واستعد ان يضحي بأسرته وقبيلته فى سبيل محمد ، باعتباره ممثلا للعقيدة والفكرة .

فان أبى ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء

وكذلك وقف عبد الله بن رواحة القرشي يهاجم بشعره قبيلته قريش ، لانها ناصبت العقيدة التى آمن بها العداء .

---

(١) سورة الحجرات .

القرآن والأدب

وقد ركز القرآن الكريم على رسالة الادب فى خدمة العقيدة والمبدأ مهاجما فى نفس الوقت ما كان يعانيه ادباء الجاهلية من ضياع وقلق ، وما اتجهوا اليه من انحراف فى القيم .

(والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون) (١) .

فليس انتصار الاديب اذن لمصلحته الذاتية وأهوائه ، ولا انتصاره لقبيلته وأسرته ، وانما انتصاره للحق وللقيم التى ينبغي أن يسخر لها قلمه ، فهو جندى من جنود العقيدة ، عليه واجب العمل من أجلها بما وهبه الله من ملكة فى ابداع القول الجميل المؤثر ، ولم يستهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم من الايام بقوة هذا السلاح وفعاليته، بل كان مقدرا له أعظم التقدير ، مكافئا في نفس اصحابه احسن مكافأة ، فهو يقول عن شعر حسان وغيره فى قريش (ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل) .

ويفسح لحسان أقرب مكان اليه فى مسجده ، ويقبل عليه بوجهه يسمع انشاده ، ويثني عليه ، ثم لا يكتفي بذلك بل يمضي فى تشجيعه فى هجاء أعداء الدعوة الاسلامية (اهجهم والروح القدس يؤيدك) .

خطة الاسلام فى تحويل الأدب

وبذلك يكون الاسلام قد حول أيضا ادب المدح القائم على التكسب ، وازجاء المديح لمن يدفع الثمن ، ولو كان لا يستحق حتى الهجاء ، يكون قد حوله الى طريقه الطبيعي الصحيح ، فليمدح الاديب خطيبا أو منشدا ، ولكن لا يمدح للمال والعطاء ، وانما هو انسان عقائدى لا يقول الا ما يعتقد أنه الحق ، فلا يمدح الا من هو أهل للمدح ، ومقياس الاهلية بلاء الممدوح فى سبيل العقيدة والفكرة التى آمن بها الأديب ، فهو اذ يمدح شخصا معينا ، لا يمدحه لانه فلان ابن فلان ، أو لانه من هذه القبيلة أو تلك الاسرة ، أو لانه يثاب ممن يمدحه بالذهب والفضة وكريم العطاء ، وانما يمدحه لانه يعمل باخلاص ويضحي فى سبيل العقيدة والفكرة .

وهكذا كان مدح شعراء المسلمين عندما لم يكن انحراف فى مفاهيم الحياة المختلفة .

أما أولئك المداحون الذين اتخذوا الأدب حرفة ، وجعلوا من الكلمة بضاعة تباع وتشترى ، فقد احتقرهم الاسلام ، ودعا الى احتقارهم ، فهم ممن يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ، ولا يستحقون الا النبذ والطرد ، ولا جزاء لهم الا تعفير وجوههم التى أراقوا ماءها بسؤال الناس بمدح كاذب باطل ، وفى هذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام (احثوا فى وجوه المداحين التراب) .

أما أدب الضياع والقلق الذى كان متمثلا فى الأدب الذاتي ، فقد استطاع الاسلام ان يقضي على اسبابه ولم يلجأ الى منعه بقرار ومرسوم ، وانما جعل للحياة معنى اعمق ، وهدفا أسمى ، فلم يعد للفراغ والضياع والقلق مكان فى حياة الفرد المسلم ، فقد نمى الاسلام المسؤولية وعمقها فى نفس كل فرد ، ومهما يكن وضعه فى المجتمع فان عليه تبعات ومسؤوليات تجاه عقيدته ومجتمعه ، الى حماية هذا المجتمع ، الى مسؤوليته في نشر الاسلام وتبليغ الدعوة لكل أهل الارض ، وبمختلف الوسائل ، ومنها الجهاد فى سبيل الله، الى مراقبة الحاكم حتى لا ينحرف عن نظام الاسلام ، ونصحه ونصح كل مسلم .

كل هذه الواجبات يطالب بها الفرد المسلم مطالبة فردية خاصة الى جانب المطالبة الجماعية العامة ، فان فلسفة الاسلام ان يعمق المسئولية الفردية حتى لا تضيع المسئولية وتتميع . ففرد عليه مثل هذه المسئوليات وفى مثل هذا المجتمع لا يمكن ان يجد متسعا فى نفسه أو فى وقته للتافه الرخيص من الأدب ، فلم تعد الحياة عنده خمر ونساء وحرب بلا غاية ولا هدف الا السمعة وثناء الناس .

فلم يعد مكان فى الادب الاسلامي لمثل خمريات

---

(١) آخر سورة الشعراء .

الاعشى ، ومجون امرىء القيس ، وفخر عمرو بن كلثوم ، ولا ضياع طرفة وقلقه ، أو نفاق النابغة ، فالمسئولية تقتضي أن لا تهدر الكلمة وان لا توضع الا حيث تؤدى دورها فى البناء .

الاسلام والأدب الشخصي

ولا يعني هذا ان الاسلام رفض الكلمة الجميلة المعبرة عن كل عاطفة ، والمصورة لاى جمال مالم تكن من الأدب الملتزم الكامل الالتزام ، لا فالاسلام اعرف بالنفس الانسانية وأدرى ، وبانه لا بد من الترويح عن النفس ، ومنحها قسطا من الحرية فى التعبير عن النزعات الفردية الخاصة ، بعيدا عن جو العمل الجمعي والمسئولية العامة : الجادة ، ولكن فى حدود من الذوق الرفيع والخلق الكريم من غير اثارة رخيصة أو انحراف وشذوذ ، أو مجاهرة بكفر ومعصية ، أو ترويج لفسق فى الفكر ، أو تحلل فى الخلق .

وتطبيقا لهذه المبادىء ، أثنى الرسول عليه الصلاة والسلام على بعض شعراء الجاهلية كعنترة ولبيد وزهير بن أبى سلمى ، لما تضمنه شعرهم من قيم رغم ما فيه من غزل وحديث ذاتي عن النفس لا يخرج عن حدود الذوق والخلق .

قال عليه السلام :

(اصدق كلمة قالها لبيد (الا كل شيء ما خلا الله باطل) كما تمنى أن يكون قد رأى عنتره .

وبالمقابل ذم أمرأ القيس لما فى شعره من مجون وانحلال خلقي ، فقال عنه انه حامل لواء الشعراء الى النار . أى قائد امثاله من المجانين المتحللين اذ راد لهم ذلك الطريق المنحرف .

وكذلك سمع الرسول عليه السلام كثيرا من القصائد فى الغزل الرقيق ، بلا مجون أو استهتار، كقصيدة كعب بن زهير وأثنى عليها ، بل كان يطلب مثل هذا الشعر ويسمعه فيطرب لانشاده، جاءت عائشة رضى الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم ، تستأذن بأن تذهب مع نساء من المهاجرات فى زواج مهاجر من انصارية ، فقال هل اخذتم من يغنى ، فقالت لا ، فقال لها أن الانصار قوم يحبون الطرب فهلا اخذتم من يغنى .

أتيناكم أتيناكم
فحيونا نحييكم

ولولا الحبة السمراء
ما جئنا لواديكم

فهو لا ينكر على الانصار حب الطرب ، بل ويأمر بالشعر الرقيق أن يتغنى به ، ولكن فى مثل مناسبات الافراح حتى لا يكون ذلك عادة تستهلك الوقت وتشغل عن الواجب .

خروج عن الأدب الاسلامي

مما مر نستطيع أن نعلم ان كثيرا من الادب ، وخاصة الشعر الذى انشىء بعد عصر الرسول والخلفاء الراشدين ، من عصر الامويين وما بعدهم لا ينطبق عليه مفهوم الادب الاسلامي ، رغم أنه وجد فى العصور الاسلامية ، وذلك كمدح المنافقين الكاذب للحكام الظلمة ، ومهاجاة الشعراء بعضهم بعضا بدافع العصبية القبلية ، وما نهشوا من أعراض وحرمات ، وما خاضوا فيه من مجون وتحلل ، وما روجوا من شك والحاد ، كل ذلك خروج عن مفهوم الادب كما يريده الاسلام مهما يكن عصره ، وأيا كان قائله .

ميادين جديدة للفكر والأدب

واذ ضيق الاسلام على الشعراء خاصة والادباء عامة ميادين القول لا تعنتا ، ولكن لمجافاتها للاسلام وبعدها عنه ، فقد فتح لهم أبوابا وميادين جديدة أكثر التصاقا بالفكر ، وأكثر اتصالا بالحياة ، وذلك حين وجه الفكر الاسلامي وجهة عملية واقعية، كبحث مسائل الحياة المختلفة فى ميادين السياسة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية ، كما وجه الفكر للنظر والتأمل فى الحياة ذاتها ، والكون والانسان ، ودعا الى تحرير الفكر تحريرا كاملا من كل شوائب التقليد ، التي تحد من انطلاقه فى آفاقه الرحيبة الواسعة .

هذه الميادين الجديدة هي التي أغنت الفكر الاسلامي والمكتبة العربية ، وهي التي نستطيع أن نعتبرها بحق مظهرا للفكر الاسلامي الصحيح ،

بما انشىء فى اطارها من أبحاث فى الاخلاق والاجتماع والنظر الفلسفي الحر .

كما أن ما قام حول القرآن من دراسات واسعة وعميقة ، شملت كافة فروع الدراسات اللغوية وغيرها من تفسير وبلاغة .

وقد يقول قائل : وما بالك تقحم هذه الابحاث والموضوعات ، التي تكاد أن تكون علما بحتا فى ميدان الأدب وهو فن لا علم ، ولكنا نقول : ان تلك التعريفات المدرسية للادب اذ حصرته بابواب من الشعر وضروب محدودة ضيقة من الخطابة والنثر ، قد حالت بين طلاب مدارسنا وبين اطلاعهم على تراثنا الفكرى الحقيقي ، فنحن نعرف الكثير عن امثال الاخطل وجرير وبشار وابي النواس وابن الرومي ، بل حتى عن ديك الجن وابن لنكك ، ولا نكاد نعرف شيئا عن الطبرى وابن كثير والقرطبى، أو عن الشافعي أو الزمخشري والغزالي ، أو عن امثال ابن القيم وابن تيمية وابن حزم وغير هؤلاء جميعا من مئات المفكرين الاسلاميين ، الذين يمثلون بحق الفكر الاسلامي ، وهم فقط الذين يعطون صورة حقيقية مشرقة مشرقة عن الحضارة الاسلامية بكل ما فيها من عطاء وصفاء .

أدبنا الى أين ؟

وبناء على ما اتضح من مفهوم الادب الاسلامي ، أين يمكننا أن نضع أدبنا العربي الحديث ، هو هو أدب اسلامي حقا ؟ .

ان الادب ـ كما يقول كتابه ـ ابن بيئته ، وانعكاس للحياة القائمة فى المجتمع ، وحياتنا فيها ملامح من الاسلام ، كما أن فيها الكثير الكثير مما هو خارج عنه ، ولسنا فى معرض استقصاء مظاهر هذا الخروج فى ميادين الحياة المختلفة من أنظمة الحكم والاقتصاد والاجتماع والقوانين والاخلاق ، لكنني هنا أحب أن اتساءل أيهما أدى لوجود الآخر ؟ هل الأدب هو الذى عمل على تفشي هذه المظاهر وطغيانها ، أم أن هذه المظاهر التي انبعث بعضها من داخلنا ، واستوردنا اكثرها من وراء الحدود ، وعبر البحار من حضارة الغرب هي التي مهدت لهذا الأدب الفارغ ؟ .

وكذلك هنا لا أريد أن أقف للبحث عن جواب لهذا التساؤل ، فحسبنا انه يفتح أمامنا سؤالا آخر هو ، هل استطاع أدبنا المعاصر أن يؤدى دوره فى حياتنا المعاصرة ؟ وما هو هذا الدور الذى عليه أن يؤديه ؟ .

لا شك أن دور الأدب هو دور الرائد والقائد فى جميع ميادين الحياة ، يأخذ بيد المجتمع نحو الأفضل فى كل شيء ، كما أنه يؤدى دور الضابط المراقب لما يمكن أن يتفشى فى المجتمع من انحراف او خطأ ، يقوم المنحرف ويصحح الخطأ .

أدباؤنا والسلبية

ونحن لا ننكر أن أدبنا الحديث فعل بعض ذلك ، وأدى ما لا ينكر من بعض ما يجب عليه ، فقاوم الخرافة والجهل ، كما قاوم الظلم والتخلف ، ودعا الى الحق والفضيلة . ولكن لم يفعل ذلك دائما ، ولا فعله على الوجه الأكمل ، كما أنه فعل ما يكاد يطغى على كل ما سبق من خير وفضل .

أما أنه لم يفعل فان هذا واضح من مواقف الأدب السلبية من كثير من قضايا الحق والعدالة ، اذ يشغل كثير من الادباء بأنفسهم وذواتهم ، ويعيشون فى أبراجهم العالية البعيدة عن مواقع امتهم وشعوبهم (١) .

أما أنه لم يفعله على الوجه الاكمل ، فذلك واضح من سطحية الاعمال الادبية ، التي تتصل بالقضايا العامة والمشكلات الاجتماعية ، اذ لم يمنحوها من أنفسهم ما منحوه لأنفسهم من صدق وعمق .

أما أن الأدب فعل ما قد ينسف كل خير وفضل ، فذلك أن كثيرا من أدبائنا قد أخذوا بما رأوا من حياة الغرب وحضارته ، وأصابهم البهر ، ففقدوا الكثير من أصالتهم ، وضاعت عند الكثير من هؤلاء الأدباء معالم الشخصية المتميزة ، وأصبح مثلهم الأعلى ورائدهم هو ما ينتجه انسان الحضارة الغربية الحديثة بكل ما فيه من تناقض وقلق وضياع ، وزعم كثير منهم بأننا مضطرون أن نأخذ الحياة الغربية ، ومثلها بكل ما فيها من أخطاء بحجة أن الحضارة كل لا يتجزأ .

---

(١) ذلك حكم على الأدب والادباء نترك الرأى فيه للمشتغلين بالادب .

((لا بد من الأدب))

ومهما قال القائلون فالانتاج مستمر والمطبعة تقذف والقراء يتلقون ، فكما لا يستغني الانسان عن الطعام والشراب والنوم وغيرها من ضرورياته الاساسية ، فهو لا يمكنه أن يستغنى عن المعرفة والتزود منها ، وكما يمكن أن تنحرف صحة الانسان حين يتناول الخبيث الضار فيقتل نفسه ، كذلك قد ينحرف سلوكه وتمرض نفسيته حين يتناول الأدب الضار الخبيث ، والمسئولية على من يقدم الفكر المنحرف والأدب الضال ، وعلى من يتلقاه ويتقبله . الا أن مسئولية العارض المروج دائما أظهر وأبين ، وجريمته فى حق امته ومجتمعه أشد وأنكى .

وما دام الأمر كذلك فالطريق الصحيح هو أن يحمل الادب على العودة الى طريق الحق ، وذلك لصالح الأدب أولا حتى لا يكون داء وسما قاتلا ، وليكون جديرا باسمه ورسالته اذ يكون ابداعه وجهده للبناء لا للهدم وللجد لا للضياع والقلق .

ولصالح الحق نفسه ومصلحة الاسلام ذاته ثانية

وذلك أن الأدب الجاد الهادف خير عون على رسالة الاسلام ، واحقاق الحق ، وقد اتضح لنا فيما سبق خطورة الكلمة وأهميتها فى نشر الدعوة أول أمرها .

الى كل أديب مسلم

واننا اذ ننظر فى واقع الأدب الحديث ، نفتقد الأدب الاسلامي افتقادا ، يكاد يكون تاما فى بعض الميادين ، ولا أريد أن استقصي ذلك واحصيه ، فحسبنا فى هذا المثال ، فالقصة على اختلاف انواعها اذا استثنينا عددا قليلا منها ـ تكاد تخلو من أى قصص اسلامي ، وخاصة فى العشر السنوات الأخيرة .

وميدان آخر مهم وخطير ذلك هو المجلة الأدبية ، وهي بلا شك منتدى الأدب ، تلتقى فيها الاقلام ويتم فى رحابها التعارف والتعاون بين عقول وأقلام تباعدت ديارها ، ونجد فى هذا الميدان أن معظم المجلات الاسلامية ـ ان لم يكن جميعها ـ تتجه نحو الفكر الاسلامي الخالص، وتعنى بالقضايا الفكرية ، والابحاث والدراسات ، ولا تكاد تلتفت الا قليلا للادب على اختلاف ميادينه وتعدد أشكاله.

وأرى أن مسئولية ذلك كله مزدوجة ، فهي أولا على أولئك الذين يملكون القدرة على النشر من رجال الفكر الاسلامي ، اذ عليهم أن يتجهوا هذه الوجهة ، ويمنحوا الأدب ما يحتاجه من عناية وجهد ، وثانيا على الأدباء المسلمين الذين اتجهوا الى الدراسات والابحاث الفكرية البحتة ، وهجروا ميدان الأدب رغم قدرتهم عليه ، وتمكنهم منه ، وعلى أولئك الذين ضعف انتاجهم من كل ذلك ، وكأنهم ألقوا سلاحهم أمام صبيان الضياع والقلق (! ! !) .

لا تشك لغير الله

شكا رجل الى آخر الفقر فأجابه قائلا :

« يا هذا تشكو من يرحمك الى من لا يرحمك » .

● قال الاحنف بن قيس شكوت الى عمي وجعا فى بطني، فهزني ثم قال يا ابن أخي ! ! ! اذا نزل بك شيء فلا تشكه الى احد ، فانما الناس رجلان ، صديق تسوءه ، وعدو تسره ، والذى بك لا تشكه الى مخلوق مثلك لا يقدر على دفع مثله عن نفسه ، ولكن اشك الى من ابتلاك به فهو قادر على ان يفرج عليك .

يا ابن اخي ! ! ! احدى عيني هاتين ما ابصر بهما سهلا ولا جبلا من اربعين سنة وما اطلعت على ذلك امرأتي ولا احدا من اهلي .

تكن سوى بيئة محدودة ، ذات تقاليد اخلاقية ، وعادات عقلية ، أهمها : اعتزاز اهلها بالاعتماد على ذواكرهم فى حفظ النصوص والآثار ، وعلى ذممهم فى حفظ العهود والمواثيق ، فلم تكن بهم لهفة الى استخدام هذه الصنعة فى شئون حياتهم، ولذلك تأخر دخولها الى بيئتهم ، برغم انهم كانوا يجوبون الآفاق فى رحلة الشتاء والصيف وامثالها ، على ما حدث القرآن لكنهم حين بدأوا يتعلمونها كانت قد نضجت على أقلام الكتاب حوالي أربعة قرون ولذلك صلحت لديهم أداة يكتبون بها أحلافهم ، ويستودعون رموزها ، من بعد ، آيات الوحي المنزل .

وحتى اذا سلمنا بأن هذه الالفاظ التي تعبر عن أدوات الكتابة مستعارة فان جميع اللغات تأخذ وتعطى ، واذا لم تكن العربية أقدم اللغات السامية فمن المسلم علميا أنها أقرب اللغات السامية الى اللغة السامية الأم ، ومن المحتمل أن هذه الالفاظ أصيلة فيها ، كما هي أصيلة فى السريانية أو الارامية بل من المحتمل أيضا أن يكون وجودها فى العربية أقدم من وجودها فى غيرها من أخواتها الساميات ، وقد صار من المشهور تاريخيا أن الوجود العربى قد عمر هذه المنطقة وما حولها منذ أكثر من أربعين قرنا ، فالقول بأن العربية قد أخذت عن غيرها من الساميات يتساوى فى الاحتمال العلمى مع القول بأن غيرها قد أخذ عنها ولا عيب فى ذلك ولا تثريب . وقضية اقتراض العربية للألفاظ من غيرها من اللغات ليست مقتصرة على هذا العدد من الألفاظ بخصوصه ، ولكن للاقتراض قواعد ومقاييس ليس هنا مجال الحديث عنها ، وقد صفت هذه القضية صياغة علمية فى رسالتى عن (القراءات الشاذة) .

نظرة أخرى الى الخط العربى

وعودة الى ما استنتجه بعض المؤرخين من نقشى زبيد وحران . أن الخط العربى كان مختلط الرموز ، لنضع فى مقابله من آراء القدماء قول ابن خلدون . ان الخط العربى كان بالغا مبالغه من الاحكام والاتقان والجودة فى دولة التبابعة ، لما بلغت من الحضارة والترف ، فكأن النقص لم يكن فى الخط ذاته ، وانما كان فى مهارات بعض الكاتبين ، والذين كانوا يختلفون باختلاف بيئاتهم ومستواها الحضارى .

فاذا وضعنا بازاء هذا انه قد اكتشفت وثيقة بردية يرجع تاريخها الى عام ٢٢هـ، على عهد عمر ابن الخطاب رضى الله عنه، وهى مكتوبة باللغتين العربية والاغريقية، وقد وجد ان بعض حروفها منقوط معجم ، وهى حروف (الخاء ، والذال ، والزاى ، والشين ، والنون) وكذلك الشأن فى نقش وجد بقرب الطائف ومؤرخ بعام ٥٨هـ ، على عهد معاوية بن ابي سفيان رضى الله عنه ، فان أكثر حروفه التي تحتاج الى نقط منقوطة معجمة (١) ـ أدركنا مبلغ صحة الرأى القائل بهزال الخط العربى ، واقتربنا من تصديق ابن خلدون .

ومعنى هذا ببساطة أن الخط العربى لم يكن بالنقص الذى يشير اليه نقشا زبيد وحران ، بل نضيف الى ذلك أن الوثيقتين المشار اليهما ربما لم يرد فيهما حروف تحتاج الى اعجام اكثر مما ذكر ، (وهو اعجام مخالف فى تفصيلاته ما عليه الاعجام الحديث) ، ولو وجدت هذه الحروف لألقى ضوء كاشف منهما لحال الخط العربى فى الجاهلية ، يبدو من حوله ما فشا فى السنة بعض المؤرخين ، وما قر فى أذهان بعض المستشرقين ، والى فرصة أخرى .

---

١ ـ مصادر الشعر الجاهلى ص ٤٠ ، وحياة اللغة العربية ص ٧٠ .

٢

عَالِمٌ تسَلّط عَليْه الأضوَاء

الماوردي

محمد مؤزر

للشيخ أبو الوفا المراغى

مدير المكتبة الأزهرية

تناولنا فى مقالنا السابق الكلام على شخصيات الماوردى الدستورية والادبية والتربوية ، ونتناول فى هذا المقال الكلام على شخصياته الاخرى التي تبرز صورة الماوردى واضحة السمات والقسمات .

الماوردى الاخلاقى

تكلم الماوردى فى مسائل فى التربية جعلته يأخذ مكانه بين علمائها ، كما أشرنا اليه سابقا ، وتكلم فى مسائل من علم الاخلاق تجعله فى الصدارة بين علماء الاخلاق الاسلاميين ، وحين يتكلم عن الاخلاق لا يجعل من وكده ان يجمع وينسق ، ولكنه يأخذ نفسه بتحليل السلوك الانساني خيره وشره ، ويربطه بأصوله فى مغارس النفوس الانسانية وهو حين يتكلم عن مسائل الاخلاق ، يستعين فى مادته وتوضيح آرائه بما ورد فى القرآن والسنة ، وبما ورد عن علماء العرب والفرس واليونان ، حتى انه ليدهشك كيف تجمع للماوردى هذا المعين الثقافى المختلف المصادر فى مادتي التربية والاخلاق والتربية والاخلاق صنوان ، فالتربية تهذيب للنفس بالعلوم والمعارف ، والاخلاق تهذيب للسلوك بالمجاهدة والرياضة ، وانى استميح القارىء عذرا ان أطلت فى الاقتباس بعض الاطالة لان توضيح آراء الماوردى الاخلاقية يستدعى ذلك .

من القواعد الاخلاقية عند الماوردى ، أن للهوى سلطانا على النفوس وآثارا تنعكس على السلوك ، ويقول فى ذلك : وأما الهوى ، فهو عن الخير صاد وللعقل مضاد ، لانه ينتج من الاخلاق قبائحها

ويظهر من الافعال فضائحها ، ويجعل ستر المروءة مهتوكا ، ومدخل الشر مسلوكا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « طاعة الشهوة داء . وعصيانها دواء » وقال ابن عباس رضي الله عنه : الهوى اله يعبد من دون الله . ثم تلا قوله تعالى « أفرأيت من اتخذ الهه هواه » .

وعلاج تسلط الهوى عند الماوردى يكون عن طريق التفكير فى مساوىء آثاره ، وما يستجره من الآثام والمغارم ، ويقول فى ذلك : وحسم ذلك ـ أى ما يقود اليه من المكاره ـ ان يستعين العقل بالنفس النفور ، فيشعرها ما فى عواقب الهوى من شدة الضرر ، وقبح الاشر ، وكثرة الاجرام ، وتراكم الآثام ، قال العباس بن عبد المطلب : اذا اشتبه عليك أمران فدع أحبهما اليك وخذ أثقلهما عليك .

وعلة هذا القول هو أن الثقيل تبطىء النفس عن التسرع اليه فيصح مع الابطاء ، وتطاول الزمان صواب ما استعجم .

ومن القواعد الاخلاقية عند الماوردى أن صلاح الجماعة يكون بصلاح الفرد ، وفسادها بفساده، وكذلك العكس اى ان صلاح الفرد يكون بصلاح الجماعة وفسادها بفسادها : لانهما مرتبطان ومتفاعلان يؤثر احدهما فى الآخر ، ويتأثر به، ويقول فى تقرير ذلك : لأن من صلحت حاله مع فساد الدنيا واختلال امورها ، لن يعدم أن يتعدى اليه فسادها ، ويقدح فيه اختلالها ، لانه منها يستمد ، ولها يستعد ، ومن فسدت حاله مع صلاح الدنيا وانتظام امورها لم يجد لصلاحها لذة ولا لاستقامتها اثر ، لان الانسان دنيا نفسه ، فليس يرى الصلاح الا اذا صلحت له ، ولا يجد الفساد الا اذا فسدت عليه ، لان نفسه أخص ، وماله امر فصار نظره الى ما يخصه مصروفا ، وفكره على ما يمسه موقوفا . وصلاح الدنيا مصلح لسائر اهلها لوفور أماناتهم ، وظهور دياناتهم ، وفسادها مفسد لسائر اهلها ، لقلة اماناتهم وضعف دياناتهم ، وقد وجد ذلك فى مشاهد الحال تجربة وعرفا ، كما يقتضيه دليل الحال تعليلا وكشفا . فلا شيء انفع من صلاحها كما لا شيء أضر من فسادها .

ذلك ما قاله الماوردى عن ارتباط الفرد بالجماعة ، وارتباط الجماعة بالفرد ، وقد اعقب ذلك ببيان ما يصلح كلا منهما وما يفسده فى تحليل نفسي ، وتعليل منطقي ، يشد القارىء الى تتبعه، واستبانة ما فيه من عمق واصالة .

الماوردى الفقيه

احتل الماوردى مكانا بارزا بين فقهاء الشافعية يتردد اسمه ، وتشيع أقواله فى المراجع الكبرى من كتبهم ، قال الخطيب عنه : كان ثقة من وجوه الفقهاء الشافعية ، وله فى الفقه كتابا الحاوى والاقناع ، ولا يخطىء من يعد كتاب الاحكام السلطانية كتابا من كتب الفقه ، حيث عالج ناحية خاصة منه ، وهي الاحكام المتعلقة بنظم الحكم والادارة والاقتصاد الاسلامي .

وكتابه الحاوى من اشهر كتب فقه الشافعي ، ومن المراجع المعتبرة فى

المذهب ، قال صاحب كشف الظنون عنه : كتاب عظيم يقع فى عشر مجلدات ، ويقال انه لم يؤلف مثله .

وقال الاسنوى عنه لم يصنف مثله ، وقال ابن خلكان لم يطالعه احد الا وشهد له بالتبحر والمعرفة التامة .

وكتاب الاقناع كتاب مختصر فى الاحكام المجردة عن الادلة ، قال الاسنوى عنه : انه يشتمل على غرائب .

وقد نقل ابن السبكى فى طبقاته مختارات من فوائده الفقهية من كتابى الحاوى والاحكام السلطانية ، ولشهرة كتاب الحاوى عرف به فقيل عنه : انه صاحب كتاب الحاوى ، وفى المكتبات مخطوطات من كتاب الحاوى ، واجزاء متفرقة منه ، وهو ثروة فقهية عسى ان يقيض الله لها من يعمل على نشرها من القادرين على ذلك من اصحاب الرأى والقيادة فى الامم الاسلامية . وانها لخدمة اسلامية ستظل ذكراها باقية مقرونة بالدعاء والثناء ما بقى الفقه الشافعي بل ما بقي الاسلام .

أخلاق الماوردى

لم يعن المترجمون بالكلام عن اخلاق الماوردى ، وفى سيرته وتراثه ما يعين على التعرف اليها ، ففي فتواه التي اشرنا اليها فى مقالنا السابق ضد جلال الدولة ، وفى مواقفه من المعتزلة ، وفى وصيته للعلماء بتجنب الرياء والعجب ، فى كل ذلك ما يدل على شجاعته وحرية رأيه ، وخشيته من الله وتواضعه وبغضه للرياء ، فكان شديد المحبة والتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يراه فى المنام وكأنما يستوضحه بعض الامور .

قال فى أدب الدنيا والدين : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ذات ليلة فقلت : يا رسول الله ، أوصنى فقال استحى من الله عز وجل حق الحياء . ثم قال: تغير الناس، قلت : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال كنت انظر الى الصبى فأرى من وجهه البشر والحياء ، وانا أنظر اليه اليوم فلا ارى ذلك فى وجهه ، ثم تكلم بعد ذلك بوصايا وعظات تصورتها ، واذهلني السرور عن حفظها ووددت لو انى حفظتها ، فلم يبدأ بشيء صلى الله عليه وسلم قبل الوصية بالحياء ، على أن صاحب معجم الادباء قال ، لم أر اوقر منه ولم أسمع منه مضحكة قط ، ولا رأيت ذراعه منذ صحبته الى ان فارق الدنيا .

هل كان الماوردى معتزليا ؟

فى تاريخ الماوردى نقطة هامة لها تقديرها فى تاريخ العلماء الاسلاميين الاقدمين ، ولها أثرها فى توثيقهم والتلقى عنهم، والافادة منهم اوتضعيفهم والاغضاء عنهم ، وهي سنية العالم أو اعتزاليته — وهي هل كان معتزليا أو سنيا ؟ .

ذكر ابن العماد فى الشذرات نقلا عن ابن الصلاح ، انه اتهم بالاعتزال فى بعض المسائل بحسب ما فهم عنه فى تفسيره فى موافقة المعتزلة فيها ، ولا يوافقهم فى جميع اصولهم ، ومما خالفهم فيه أن الجنة مخلوقة ، نعم يوافقهم فى القول فى القدر ، وهى بلية على البصريين .

ونقل ابن السبكى عبارة ابن الصلاح مفصلة فقال : قال ابن الصلاح : هذا

الماوردى عفا الله عنه يتهم بالاعتزال ، وقد كنت لا اتحقق ذلك عليه ، وأتأول فى كونه يورد فى تفسيره الايات التى يختلف فيها اهل السنة ، وتفسير المعتزلة غير متعرض لبيان ما هو الحق منها ، واقول لعل قصده ايراد كل ما قيل من حق او باطل ، ولهذا يورد من أقوال المشبهة أشياء مثل هذا الايراد حتى وجدته يختار فى بعض المواضيع قول المعتزلة ، وما بنوه على أصولهم الفاسدة .

ومن ذلك مصيره فى الاعتراف الى ان الله لا يشاء عبادة الاوثان ، وقال فى قوله تعالى « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن » وجهان، أحدهما حكمنا بأنهم أعداء ، والثاني تركناهم على العداوة فلم نمنعهم منها ، وتفسيره عظيم الضرر لكونه مشحونا بتأويلات أهل الباطل تلبيسا وتدليسا ، على وجه لا يفطن له اهل العلم والتحقيق ، مع انه تأليف رجل لا يتظاهر بالانتساب الى المعتزلة، ويجتهد فى كتمان توافقهم فيما هو لهم موافق ، ثم هو ليس معتزليا مطلقا ، فانه لا يوافقهم فى جميع أصولهم ، مثل خلق القرآن كما دل عليه تفسيره فى قوله عز وجل « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث » وغير ذلك ، ويوافقهم فى القدر، وهى البلية التى غلبت على البصريين وعيبوا بها قديما .

وقد احسن ابن السبكي فى نقل نماذج من تفسير الماوردى التى يستبين بها اتهامه بالاعتزال ، ويكون الحكم عليه حكما بالبينة والدليل ، ولولا ما ذكره ابن السبكى لكان الحكم باعتزال الماوردى حكما يحتمل الصحة أو الرجحان أو البطلان ، واذا انعمنا النظر فى قول ابن السبكى « ليس معتزليا مطلقا » واضفنا اليه حادثة فتيا الماوردى ضد جلال الدولة بن بويه وهو الرئيس الاعلى للدولة اذ ذاك ، والصديق العزيز على الماوردى امكننا ان نقول ان ما رمى به الماوردى من الاعتزال ليس اعتزالا ، بل هو نوع من حرية الرأى والاجتهاد فى الفهم ، وليس تقليدا خالصا للمعتزلة، وقد عرف الماوردى بالاجتهاد وبغض التقليد .

روى صاحب معجم الادباء ، انه لما سلك طريقه فى توريث ذوى الارحام ، وانه يسوى بين البعيد والقريب منهم ذهب اليه الشينزى فى جماعة الى المسجد وقال له : ايها الشيخ اتبع ولا تبتدع . فقال الماوردى : بل اجتهد ولا أقلد . فانصرف الشينزى .

وفى عبارة صاحب معجم الادباء عن الماوردى تضعيف لتهمة الماوردى ، فقد قال عنه : كان عالما بارعا متفننا شافعيا فى الفروع ، معتزليا فى الاصول على ما بلغني والله اعلم فعبارة على ((ما بلغني)) عبارة عن الشك فى الحكم فى عرف العلماء

على أن العلامة ابن حجر ـ وهو الحجة فى جرح العلماء وتعديلهم ـ قد فصل فى هذه القضية حيث قال فى لسان الميزان بعد ان ذكر بعض المسائل التي وافق الماوردى فيها المعتزلة : ((وله مسائل وافق اجتهاده فيها اجتهاد المعتزلة ، ولا ينبغي أن يطلق عليه اسم الاعتزال)) والظاهر ان هذه التهمة لم تؤثر على سمعة الماوردى العلمية بدليل قول المترجمين له ، انه ثقة وتقبل الرواية عنه، كما ذكر ابن السبكي بعض الاحاديث التى وقع فى اسنادها الماوردى .

لم ينجح الإستعمار في تغيير
البناء الإجتماعي يحتاج إلى
قيادة اوربا للعالم سبب تمزق

حديث مع الأستاذ مالك

محمد مؤذن

الاستاذ ملك بن نبي مستشار التعليم العالى بالجزائر أحد الدعاة الاسلاميين المعاصرين الذين تضلعوا فى الثقافة الفربية الى جانب الثقافة الاسلامية ، ومؤلفاته الكثيرة تتسم بالاصالة وعمق التفكير ، وتطوافه بالعالمين الغربى والاسلامى زادت تجربته فى دراسة المجتمعات الانسانية .

وقد اغتنمت مجلة الوعي الاسلامي زيارته للكويت فى الفترة الاخيرة فأوفدت اليه أحد محرريها لاستطلاع رأيه فى كثير من الامور التى تهم المسلمين وفيما يلى نص الحديث : ـ

س ـ ما هو الهدف من زيارتكم للكويت؟

زيارتى للكويت كانت زيارة مسلم عربى الى بلد شقيق تربطه به كل الروابط ، ومن الناحية الرسمية فمن أجل القيام بمهمة تتعلق باتفاقية ثقافية بين الكويت والجزائر .

وقد وجدت فى الكويت كل مايسر ويملأ النفس رجاء فى مستقبل المجتمع العربى الاسلامى ، كما شعرت مذ حللت الكويت كأننى فى معمل يصنع جانبا كبيرا من تاريخ الامة الاسلامية ، وقد تأكد فى نفسى هذا الانطباع حينما تشرفت بمقابلة صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير البلاد .

س ـ ما هي البلاد الاسلامية التى زرتموها وأشهر انطباعاتكم عنها ؟

زرت تقريبا كافة البلاد الاسلامية فى

المفاهيم الإسلاميّة بناء الفرد أولاً المجتمع الانساني

الاستاذ مالك بن نبي
مستشار التعليم العالي بالجزائر

بن نبي

القارتين الآسيوية والافريقية ، أما انطباعاتى عنها فقد كونت وجهة نظر فى تاريخ الحضارات والمجتمعات ، وكنت أجد الحياة فى مختلف البلاد الاسلامية على ما كنت أتوقعه ، أعنى بذلك أن الاختلافات الشكلية يخدع بها أحيانا المسلم عندما يواجه مشكلات البلاد الاسلامية ويضفى عليها الطابع المحلي .. ولقد كانت هذه الرؤيا تحجب عليه الحقيقة الكبرى الا وهي أن مصير المجتمع الاسلامى مصير واحد متحد ، كما أن مصير المجتمع الغربى بما فيه الاتحاد السوفيتى رغم الاختلاف المذهبي العميق واحد ، كما دلت على ذلك الحرب العالمية الثانية ، وكما تدل عليه الملابسات الدولية الراهنة .

س ـ كانت ثورة المليون شهيد مثلا أعلى فى تصميم الشعب الجزائرى وايمانه بحقه فما هى النقطة التى بدأت منها انطلاقة الشعب واستمراره فى ثورته فى رأيكم ؟

هذه الكلمة تتضمن معنيين ـ المعنى المحلى والمعنى الادبي ، فأما المكان الذى انطلقت منه الثورة فمن جبال أوراس أعنى من مقاطعة جزائرية تعتز باسلامها وبعروبتها ، أما المعنى الثانى فهي العقيدة الاسلامية نفسها التى كانت المحرك والدافع الكبير للتيار الثورى فى الجزائر .

س ـ لا شك أن الاستعمار قد غير كثيرا من مقومات الحياة فى الجزائر ليطبعها بطابعه فالى أى مدى نجح فى ذلك ، وما هي الوسائل التى اتخذتموها للعودة بالشعب العربى المسلم الى طابعه الاصيل؟

لم ينجح الاستعمار فى تغيير المفاهيم الاسلامية والقيم الروحية فى نفس المسلم، ولكنه غيرها فى الدور التاريخي السياسى، ولقد سبق أن أوضحت أن الثورة انطلقت من جبال أوراس ، أى من البيئة التى كانت أكثر تمسكا بدينها ، فكان من الطبيعي أن يفكر الاستعمار فى فك عجلة الثورة من يد هؤلاء القوم ، لتسليمها الى أيدى من يتقرب اليه عن وعى أو غير وعى ، وذلك بطريقة تكوينه الثقافى أو بطريق العمالة كما وقع ذلك فى جميع البلاد الاسلامية ..

وفى الوقت الراهن أخذ الامر يستتب فى أيدى من يمثل القيم التى يقدسها الشعب من دين ولغة ووطن .

★ ★ ★

س ـ أرجو أن توضحوا للقراء الناحية التعليمية والتربوية فى الجزائر ومراحل التعريب فيها ؟

الجزائر منذ اللحظة الاولى من استقلالها واجهت مشكلات تعليمية عويصة ، اذ كان الاستعمار عند اجلائه عنها ، قد سحب معه جميع وسائل الحياة الاجتماعية سحب ما يقرب من ٣٠ ألف معلم ، فأحدثوا فراغا كبيرا ، فأصبحت السلطات الجزائرية تجابه هذا الفراغ كرد عنيف عاجل حتى تبرهن أن سيادة الوطن تبقى محفوظة مع كرامته ومع وظيفته الاجتماعية رغم الظروف المصطنعة التى خلفها الاستعمار عند انسحابه ، فجندنا فى المستوى الابتدائى من له قسط من العلم كي يؤديه لاخوانه الذين يتعلمون ، فأدهش هذا العمل المستعمر نفسه ، لأنه كان ينتظر من وراء انسحابه وسحب جهازه الادارى والتعليمي ، صرخة اليأس من طرف الشعب الجزائرى واستسلامه للظروف القاسية ، ولكن كل فرد من الشعب أدى واجبه فى حقل التعليم كما يجب ، وسد بذلك الفراغ المصطنع، وتم كل هذا فى غضون ثلاثة أشهر ، وهذا طبعا لم يحل كل مشكلات التعليم فى الجزائر فى كافة مستوياته ومن بين هذه المشكلات لا زلنا نواجه ، غير مستيئسين مشكلة التعريب التى لا تخص فيما أعتقد الجزائر فقط ، بل تخص البلاد العربية كلها حيث لا زالت الجامعات الكبرى فى العالم العربى تدرس أكثر من مادة بلغة أجنبية عدا جامعة دمشق .

★ ★ ★

س ـ يقولون أن معركة البناء الداخلي أدق وأخطر من مرحلة الكفاح المسلح .. فالى أى حد ينطبق هذا القول على التجربة الجزائرية ؟

هذا لا ينطبق فحسب على التجربة الجزائرية بل على كل تجربة انسانية ، وهذه الحقيقة هى التى أشار اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رجوعه من احدى غزواته «الآن رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر» فمرحلة البناء الاجتماعى تتضمن بناء الفرد أولا وقبل كل شيء ، وبذلك تتضمن جهادا وصراعا عنيفا مع رواسب ما خلفه الاستعمار فى النفوس وما تبقى فيها من قابلية للاستعمار .

س ـ ما هى أسباب فترة القلق التى يعيشها عالمنا اليوم وطريق الخلاص منها ؟

الانسانية تدين بقلقها الحاضر الى أسباب متنوعة ، بعضها يعود الى نفسية الشعوب التى نصفها بالمتقدمة ، وبعضها يتصل بشعوب نصفها بالنامية (تفاؤلا) .

فعدم التوازن بين هاتين الناحيتين هو فى الحقيقة أخطر مشكلة يواجهها العالم اليوم ، ولا يمكن حلها الا بطريقتين . رفع ضمير الانسان المتحضر الى مستوى الانسانية أعنى عندما يخرج من برجه العاجى ويدخل فى معركة مصير شامل يخص الاسرة البشرية كلها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى رفع عقل البلاد المتخلفة الى مستوى الحضارة .

فعندما تتم التسوية الاخلاقية التى ترفع الشعوب المتحضرة الى دورها الطبيعى بالنسبة للانسانية كلها ، وأكثر ما يكون ذلك حين تتم التسوية الاجتماعية بالنسبة للمجتمعات المتخلفة كى تكون فى مستوى حضارة القرن العشرين ـ تكون الانسانية قد حلت مشكلاتها ، وأزالت أسباب قلقها الراهن، وهذا يعنى أن دور الاسلام فى هذه المرحلة الانتقالية ـ يجب أن يكون دورا حضاريا ويجب على المسلم الذى يدرس القضايا الاسلامية أن يدرسها من الزاوية الحضارية .

★ ★ ★

س ـ ماذا خسر العالم بانحسار دولة الاسلام ، وكيف السبيل لاستعادة المسلمين مركزهم القيادى ؟

يقول المفكر الفرنسى الكبير العلامة غوستاف لوبون كأنه يجيب على هذا السؤال فى كتابه « حضارة العرب » : « ان معركة بواتيه قد أخرت التيار الحضارى فى أوروبا لثمانية قرون » .

واذا تحقق هذا فى نظر العلامة الفرنسى بالنسبة لبلاده وأوروبا ، فان مفعول التخلف فى سير التاريخ أصبح يجرى على العالم عندما تولت أوروبا القيادة فيه منذ عصر نهضتها، بالاضافة الى ذلك فان غوستاف لوبون يشير هنا الى الجانب العملى والمادى من الحضارة بينما كان للاسلام لو استمرت القيادة فى يده أن يجنب الانسانية كوارث التاريخ (مثل الحرب الاولى والثانية) ويجنبها بصورة ادق ذلك التمزق الذى أصاب المجتمع الانسانى عندما دخل تحت سلطة الروح الاستعمارية، والسبيل الى الخروج من هذا المأزق سبق أن نوهت به ، يضاف الى ذلك سيطرة المادة اليوم اذ تدفعه الى كل ما يهدد كيانه من الجانب السياسى فى تصرفات الدول ، ومن الجانب الاخلاقى فى تصرفات الافراد .

يجب اذن لمواجهة هذه الاخطار ، وهذه الانحرافات أن يقوم المسلم بدوره كمرشد لاخوانه من الاسرة البشرية يهديهم الى صراط مستقيم . ولا يمكن ذلك الا بشرطين : ـ أولهما : أن يهتدى المسلم نفسه الى هذا الصراط ، والشرط الثانى أن يقوم المسلم باتباع الاسلام لا بأقواله فحسب ، ولكن بأعماله كى يضرب به المثل القياسى للانسانية فى ميدان الفن حيث قطع الركب مسافات بعيدة ، وفى الميدان الاخلاقى حيث تخلف الركب عن المثل التى أتت الاديان المنزلة من أجل ترسيخها فى السياسات والمعاملات .

رحلة مع الكلمات

محمد مؤذن

الرَّجُلُ الصادقُ .. يدعو الناس إلى التوحيد .. فينصرفونْ
و يُلَفْلِفُ في الكلمات دموعَ العين ... فتحترق عيونْ
يدعوهم حتى للإبحار وراء الحسِّ ... فينهزمونْ
وكأن جبال العالم تجثو فوق النبض .. فيحترقون

★★★

كلماتُ الرجل الصادق تُبْصِرُ حتى بعيون الأقدار
تتلفت ظمأى نحو قلوب الناس .. وتدعو الأمطار
عَلَّ الأمطار تُلين الصخر .. وتفتح قلب الاحجار
لكنَّ الجدب يطارد خلف التِّيه جذوع الأشجار

★★★

و الكلمة بعضُ ثمار الربِّ .. تُقاتل بالحرف جيوشا
في كل حنايانا تُدفئ بالحب صباحا مرعوشا
وتَخُطُّ على خَطِّ الزحف العملاق شعارا منقوشا
(الموتُ لأعداء الكلمات) (سنبني للضوء عروشا)

المهاجرة

للاستاذ محمد أحمد العزب

ومَضَتْ كلمات الرجل الصادق تأكلُ أحداق الظلماتْ
وتبعثر ضوءَ الفجر على الأعراف .. وخلف الأكَمَاتْ
فارتعشت بالحقدِ الضارى ... واللوثةِ .. كُلُّ الربوات
وانفلتت السيفُ .. يثير الحرف ... ليحرق نبْض الكلمات

★★★

حملتْ كلماتُ الرجل الصادق فوق أناملها الفجرا
وانْدَاحَتْ خلف الأبعاد السوداء لتغتصب النصرا
كانت ترنو للسيف .. فيجثو السيف ... ويزدرد القهرا
ويُكَبِّرُ تحت سماء الحرف ... جبانًا يلتمس العذرا

★★★

لكنَّ الكلمةَ ... والقائدَ ... والجيلَ الموعودَ .. سماءُ
كانوا أحْنَى ... فأخضرَّتْ فوق شفاه الناس الأضواءُ
وتجاوب كل الكون بأصداءٍ ... تحدوها أصداء
يَاكُلَّ زحوفِ الليل .. أصيخوا ... أنتم ؟ أنتم طُلَقَاءُ .

مائدة القارئ

عشاء أمير المؤمنين

دخل زبان بن عبد العزيز على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، فشكا له عمر وقال :

– قل نومى هذه الليلة ، فاتهمت عشاء تعشيت به .

– ما هو ؟

– عدس وبصل .

– لقد وسع الله عليك وتضيق على نفسك .

– أطلعتك على سرى ، فوجدتك غاشا غير ناصح أما والله لا أعود الى مثلها أبدا .

عـدالة عمر

لقى عمر بن الخطاب أبا مريم السلولى الذى قتل أخاه زيد بن الخطاب ، فقال له عمر . والله انى لا أحبك حتى تحب الارض الدم .

قال السلولى : أفيمنعنى ذلك حقا ؟

قال عمر : لا .

قال السلولى : فلا ضير ، انما يأسى على الحب النساء .

واحدة بواحدة

كان أحد السياح – وهو انجليزى – يسير بين المقابر فى الصين ، فرأى صبيا صينيا يضع طبقا من الارز المطبوخ فوق قبر ، فقال له متهكما متى تظن ان فقيدك يقوم فيأكل الارز ؟!

فأجابه الصينى بقوله : « يكون ذلك متى جاء فقيدكم يستنشق روائح الازهار التى تضعونها على قبره » .

الضيف الثقيل

نزل رجل عند قوم ، وأطال الضيافة ، فكرهوا اقامته . فقال الزوج لزوجته : كيف لنا أن نعلم مقدار اقامته ؟ قالت : نتشاجر غدا ، ونتحاكم اليه ، لنعلم متى يرحـل . فتشـاجرا وقالت الزوجة للضيف : استحلفك بالله الذى يبارك فى سفرك غدا أينا أظلم ؟ فقال الضيف : والله الذى يبارك لي فى اقامتي عندكما شهرا ، ما أعلم أيكما أظلم .

دموع الصائد

قال الفضل بن موسى الشيبانى :

كانت الريح عاصفة ، وأخذ بعض الصيادين يصطاد العصافير ، وعيناه تذرفان لما يدخل فيهما من الغبار ، فكلما صاد عصـــفورا كسر جناحه ، وألقاه فى ناموسه . فقال عصفور لصاحبه : ما أرأفه ؟ ألا ترى الى دموع عينيه .

فقال آخر : لا تنظر الى دموع عينيه ولكن أنظر الى عمل يديه .

اشرف الناس

أراد الكسائي معلم الامين والمأمون أن يقوم من مجلسه ، فتسابق الامين والمأمون على أن يكون كل منهما أسبق من أخيه بتقديم نعلى الكسائى ليلبسهما فى رجليه .

فسأله الرشيد ـ من أشرف الناس ؟

قال الكسائى ـ أنت يا أمير المؤمنين .

قال الرشيد ـ بل هو من اذا همّ بلبس نعليه تزاحم فى تقديمهما له وليا عهد أمير المؤمنين .

امام العلماء

سئل عمر بن الخطاب قبل موته : لو عهدت الينا . اخترت خليفتك بنفسك وبايعناك عليه .

فأجاب : لو كان معاذ بن جبل حيا ، ووليته عليكم ، ثم قدمت على ربى عز وجل ـ فسألنى : من وليت على أمة محمد ـ لقلت : وليت عليهم معاذ بن جبل ، بعد أن سمعت النبى يقول : معاذ ابن جبل امام العلماء يوم القيامة .

مانعة الاصطدام

* ليس من المستطاع، ولا من الصالح أن تتخلى أمة عن تقاليدها، لأن التقاليد ضرورة من ضرورات التقدم والمدنية ، اذ هى تقوم بوظيفة مانعة الاصطدام .

* اذا نحيت الوحى لتفسح مكانا للعقل فقد أطفأت نورهما معا .

قيادة رشيدة

عندما تم الصلح بين أمير جيوش المسلمين فى الشام أبى عبيدة وبين أحد قواد الروم جاءه بطعام فاخر وقال له : هذا طعام الامير . قال أبو عبيدة : وأطعمتم الجند مثل هذا الطعام ؟

قالوا : لم يتيسر .

قال أبو عبيدة : لا حاجة لنا فيما يقتصر علينا وحدنا من ألوان الطعام. بئس المرء أبو عبيدة ان صحب جندا قدموا دماءهم دونه ، فاستأثر عليهم بشىء يصيبه . انا لا نأكل الا مما يأكلون .

الزوجة الوفية

قال لويس الرابع عشر عند وفاة زوجته لقد حرمت زوجة كان موتها أول ما ساءنى منها .

كلهم مسلمون

صدرت الليدى « ايفلين كوبولد » كتابها « الحج الى مكة » ، بالعبارة التالية :

« لقد تساءل جيته اذا كان هذا هو الاسلام ألسنا كلنا مسلمين ؟ » . فأجابه كارليل : « أجل .. ان من يحيا بالروح انما يحيا على الاسلام » .

مركب النقص

وقف الاحنف بن قيس ومحمد بن الاشعث بباب معاوية رضى الله عنه ، فأذن للاحنف ، ثم لمحمد بن الاشعث ، فأسرع محمد فى مشيته حتى دخل قبل الاحنف ، فلما رآه معاوية قال له : والله انى ما أذنت له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله انا كما نلى أمركم كذلك نلى أدبكم . ما تزيد مزيد فى أمره الا لنقص يجده فى نفسه .

اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات

تجمع طلابى اسلامى عالمى على مبادىء الاسلام الصحيحة ومفاهيمه الاصلية .

شعاره : الاسلام الحنيف افضل ما يضمن السعادة ويوصل الى الخير . ويخرج البشرية من الظلمات الى النور .

مبادئه : الاسلام نظام شامل تناول الحياة ، فهو دولة وامة وخلق وقوة ورحمة وعدالة وتجمع واتحاد .

اهدافه : وحدة الشباب المؤمن فى العالم اجمع ، صموده امام تيار المادية الجارف ، تصحيح ما دسه المستشرقون والمبشرون على الاسلام من كذب وافتراء ، التصدى لحملات الصهيونية على الاسلام . دعوة الناس جميعا الى الاسلام .

فى حقبة من التاريخ كان التجار الذين يصلون الى جزر اندونيسيا والفليبين وشواطىء افريقيا هم الدعاة الى الاسلام ، وعلى أيديهم دخل سكان تلك البلاد فى دين الله افواجا ، وهؤلاء التجار على بساطة عملهم كان لهم دور ايجابى فعال فى ايصال الاسلام الى تلك النفوس ، وذلك بما كانوا عليه من اعتصام بدينهم واعتزاز بعقيدتهم وتمثلهم لتعاليم قرآنهم فى معاملاتهم مع الناس .

ومع انطلاقة دعوة الاسلام الواعية ، المجردة من الزيف والجمود فى مطلع هذا القرن ، شهد عالم الغرب نموذجا من هؤلاء الدعاة الى الاسلام ، لم يكونوا فى هذه البلاد تجارا وانما طلبة علم فى جامعات امريكا وكندا والمانيا وانجلترا وغيرها من الجامعات وقد اتخذ نشاطهم الاسلامى طابعا علميا واعيا منظما كان له اثر كبير فى تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الاسلام التى دسها التبشير والاستشراق ، وتعميق المفاهيم الاسلامية الصحيحة في نفوس الشباب المؤمن الملتقى على طاعة الله ورسوله بالاضافة الى اعتناق عدد كبير من شباب الغرب لهذا الدين الحنيف عن فهم وعلم ويقين ، وقد تبلورت هذه النشاطات الطلابية الاسلامية فى اتحادات اهمها :

اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة الامريكية وكندا .

اتحاد الطلبة المسلمين فى اوروبا .

اتحاد الطلبة المسلمين فى المملكة المتحدة .

جمعية الطلبة المسلمين فى فرنسا .

اتحاد الطلبة المسلمين فى نيجيريا .

وهذه الاتحادات لاشك انها نواة مباركة لاتحاد طلابى اسلامى عالمي ، يكون له دوره الايجابى الفعال فى انطلاقة الدعوة الاسلامية المباركة الى العالم اجمع ..

وحديثنا فى هذا العدد عن اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة الامريكية وكندا .

نبذة تاريخية

ان اقبال الطلاب المسلمين على طلب العلم فى

المتحدة الأمريكية وكندا

جانب من المصلين اثناء صلاة الجمعة للطلبة المسلمين فى جامعة الينوي .

الخطيب آنذاك الدكتور محمد لال تشولا .

ملاحظة : الأوراق الموجودة امام بعض المصلين هي الرزنامة (امساكية) شهرية توزع على المصلين لمعرفة اوقات الصلوات حسب التوقيت المحلي .

البلاد الاجنبية قد تطور منذ ان استقلت اكثر الاوطان الاسلامية تطورا شديدا بلغ منه ان اصبح في الولايات المتحدة الامريكية وكندا أكثر من خمسة عشر الف طالب مسلم ، هذا العدد الضخم من الطلاب المسلمين فى مختلف الجامعات الامريكية والكندية سيعود الى اوطانه عاجلا أو آجلا ليأخذ فيها مكانا مرموقا ، وليشغل فيها مراكز هامة فى توجيه امور المسلمين ، لعل اثرهم بذلك فى حياة الامة سيكون اقوى وافعل من كل وسائل الوعظ والارشاد فى بلادنا .. ان الكثرة من هؤلاء الشباب يفدون على ديار الغرب وليس عند احدهم فكرة واضحة عن الاسلام الا صورة اليمة من أحوال المسلمين تزيد في قلق النفس والفكر ، فاذا واجه الحياة الغربية وفنونها المادية واغراءها المتجدد ، بدأت صلته الوراثية التقليدية بالاسلام تهتز ، وبدأت الشكوك تراود نفسه ، وتبلبل اتجاهه ثم يأتى الضعف امام الاغراء فيتهاوى على المعصية فى تردد ثم فى استسلام ، وقد ينحدر فى هذا الاتجاه وهو هارب من نفسه شارد من وازع من ضميره وقد يصل به الانحدار الى التمرد على الدين كله ، اما فى نزوة المفتون المغلوب على أمره واما فى الحاد سافر .

والقلة القليلة التى تذهب للدراسة فى الخارج مزودة بوعى اسلامى وورع عند حدود الله ، لا تلبث أن تستشعر قسوة البيئة ومرارة جهد النفس ومغالبة التيار ، فاذا علمنا ان هؤلاء الطلاب المسلمين الوافدين على بلاد الغرب ليسوا كل المسلمين فيها ، بل ثمة آلاف من العائلات المسلمة ومشكلة مشاكلهم تربية اولادهم تربية اسلامية واذا اضفنا الى كل ذلك ان عقدة العقد فى علاقات الامم الاسلامية بغيرهم هى فى سوء فهم هؤلاء للاسلام وان احوال المسلمين الوافدين الى بلادهم هى الصورة التى يحكمون بها للاسلام أو عليه ، وضح مبلغ المسؤولية الكبيرة فى عنق كل مسلم نحو دينه هذه العوامل كلها هى التى حدت بنفر كريم من طلبة العالم الاسلامى والعربى من الذين يدرسون فى معاهد الولايات المتحدة وكندا الى اللقاء فى صيف عام ١٩٦٣م المصادف ١٣٨٢ هـ ليجمعوا امرهم للتصدى للموجة الجارفة ، موجة الضلال والهوى وليعيدوا صفات الايمان الى القلوب وكلمات القرآن الى الشفاه وليتخلوا عن العزلة من اخوانهم فى العقيدة فى مدينة شامبين فى ولاية الينوى فكانت اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا ، منظمة اسلامية .

مبادىء الاتحاد

١ ــ نؤمن بأننا مسلمون أولا واخيرا بهذا سمانا الله ، ولم نجداسمى وافضل من ان نكون مسلمين (ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) .

٢ ــ نؤمن بأن الاسلام وجد ليعيش فى ضمائرنا وقلوبنا وفى كل مرفق من

مرافق حياتنا ، وفيه صلاح امرنا وامر امتنا ، وان الفناء فى الحق هو عين البقاء ، وانه (لا دعوة بغير عمل) .

٣ ـ نؤمن ان تعاليم الاسلام الحنيف ومبادئه هى افضل ما يضمن لنا السعادة، ويوصلنا الى ما نبتغى من خير ويخرجنا من الظلمات الى النور ، وان الاسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا ، فهو دولة وامة وهو خلق وقوة ورحمة وعدالة وتجمع واتحاد .

٤ ـ ونؤمن ان الاسلام اساس العمل، وان الاسلام يحرر العقل ، ويحث على النظر فى الكون ويرفع قدر العلم والعلماء، ويرحب بالصالح النافع من كل شىء فالحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو احق الناس بها .

أهم اهداف الاتحاد

تتلخص أهداف الاتحاد بما يلي :

تقوية الروابط الاسلامية ، وتثبيت اسس الاخوة الدينية بين الطلبة المسلمين فى جميع انحاء العالم .

التعاون على نشر تعاليم الاسلام الحنيف بين صفوف الطلبة المسلمين وغير المسلمين .

مساعدة الطلبة الوافدين حديثا الى هذا البلد وتأمين السكن والمأكل لهم وتعريفهم على اوضاع الجامعة التى ينتسبون اليها .

العمل على تكوين روابط طلابية اسلامية فى الجامعات التى ليس بها مثل تلك الروابط .

مساعدة الذين يعتنقون الاسلام فى هذه القارة وتهيئة الوسائل اللازمة لتفهيمهم الاسلام الصحيح وتعليمهم اسس الدين الحنيف .

الرد على ما ينشر من مفتريات عن الاسلام وعقائده فى الجرائد والمجلات والكتب التى تنشر فى هذه القارة .

الوسائل التى يسلكها الاتحاد لتحقيق الاهداف

اصدار مجلة الاتحاد وتسمى « الاتحاد » ترمز الى وحدة المسلمين تحت راية القرآن الكريم وشعارها « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

طبع نشرات دورية عن الاسلام فى مواضيع مختلفة وخاصة المواضيع التى يسأل عنها الطلبة المسلمون .

القاء محاضرات عن الاسلام فى الجامعات والكليات والكنائس والمدارس والجمعيات الاخرى.

الاشتراك فى المعارض الطلابية عن الثقافة ومدنية البلدان الاسلامية وللراغبين من غير المسلمين .

تعليم مبادىء الاسلام بالمراسلة لاطفال المسلمين وللراغبين من غير المسلمين .

اقامة مخيم سنوى لاطفال المسلمين لتدريبهم وتعليمهم وتربيتهم على الدين الاسلامى .

تنظيم دروس دورية فى تعليم القرآن الكريم والسنة النبوية .

الاجابة على الاسئلة الدينية من المسلمين فى هذا البلد لحل مشاكلهم .

ارسال مطبوعات الاتحاد الى الجمعيات والمؤسسات الاسلامية فى هذه القارة وفى العالم الاسلامى .

ايجاد مكتبة للكتب الاسلامية باللغة العربية والانجليزية للكتب الاسلامية القيمة .

مشروع تسجيل القرآن الكريم وتوزيعه بدون ربح الى من يحب الحصول عليه .

ترتيب امور الزواج والجنائز فى حالة عدم وجود من يقوم بها فى المراكز والجاليات الاسلامية.

الرد على ما يكتب عن الاسلام وعقائده ورجالاته فى مختلف الجرائد والمجلات الاسلامية بكتابة الرسائل وارسال الوفود اليهم .

اقامة مؤتمرات عامة وفرعية للطلبة المسلمين في جميع انحاء الولايات المتحدة وكندا .

جمع المساعدات لمختلف الدول الاسلامية أو المجموعات التى تعيش فى هذا البلد فى حالة الكوارث والطوارىء .

طبع وتوزيع بطاقات العيد للتذكير بالاسلام وشعائره .

تنظيم جمع الزكاة وتوزيعها الى الجهات المستحقة .

مشاريع الاتحاد فى المستقبل

زيادة عدد المؤتمرات العامة فى الاقسام المختلفة في الولايات المتحدة وكندا للتعارف ودراسة المشاكل التى يعانيها الطالب المسلم فى هذا البلد .

اقامة مخيمات سنوية فى القسم الشرقى والاوسط فى الولايات المتحدة لتعميم الفائدة من امثال المخيمات التى تقام فى كاليفورنيا كل عام .

صندوق لمساعدة الطلبة المسلمين الذين يتعرضون لضيق مالى لاسباب قاهرة .

مشروع تسجيل القرآن الكريم وتوزيعه بدون ربح .

مشروع تعليم الصلاة والآذان والقرآن الكريم بالمراسلة للمسلمين في هذا البلد .

مشروع تعليم اللغة العربية بالمراسلة .

مراقبة الجرائد والمجلات المهمة التى تصدر فى هذا البلد فيما ينشرونه عن الاسلام .

التركيز على انشاء جمعيات اسلامية محلية فى كل الجامعات التى يدرس فيها الطلبة المسلمون .

مشروع احصاء عدد المسلمين القاطنين فى هذه القارة ، بالاخص الذين اعتنقوا الاسلام .

توسيع المكتبة الاسلامية للاتحاد واهداء مجموعات من الكتب التى تمثل الاسلام تمثيلا صحيحا وشاملا لجميع نواحى الاسلام الى المكتبات المهمة فى هذه القارة .

نشراته ومطبوعاته

مجلة الاتحاد التى تصدر مرتين فى السنة .

نشرات من مواضيع مختلفة عن الاسلام مثل .

الدين الاسلامى الحنيف .. حكمة الصوم فى الاسلام .. العقائد الاسلامية .. الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم فى الانجيل والتوراة .. نظام الحرب فى الاسلام..عيسى « عليه السلام فى القرآن »..« المسلمون السود » فى أمريكا .. مكانة المرأة فى الاسلام ،الاسلام فى العصر الحديث .. تعداد المسلمين فى العالم .. خصائص القرآن الكريم .. بعض الحوادث المهمة فى التاريخ الاسلامى .. الاسلام والعلم .. نظام الحكم فى الاسلام .

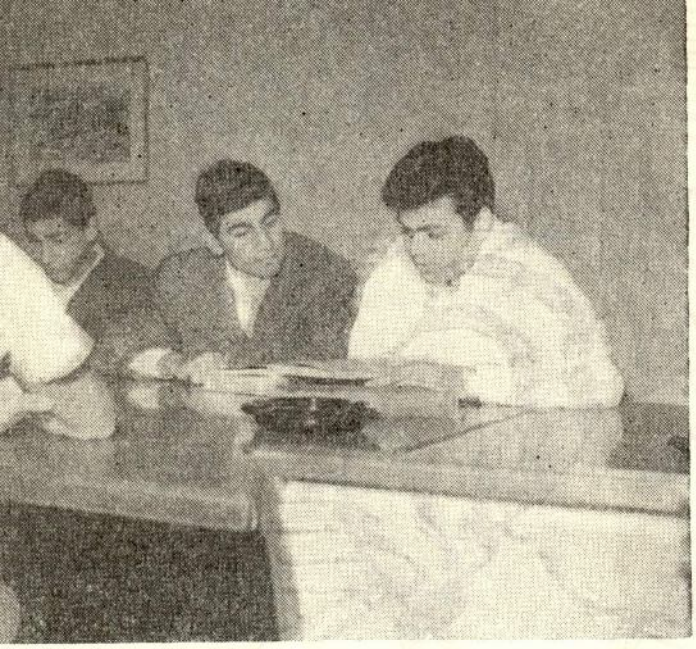

مدارسة القرآن الكريم تلاوة ، وشرحا وحفظا وترجمة الى اللغة الانجليزية .

نشر المقالات الاسلامية وخطب الجمعة فى الجامعات المختلفة وفى الجرائد والمجلات الاسلامية فى جميع انحاء العالم وخاصة باللغة الانجليزية .

مدى تأثيره فى الرأى العام الامريكى

ينهال على الاتحاد مئات الدعوات لالقاء المحاضرات عن الاسلام فى الجامعات والكليات والمدارس والكنائس والجمعيات الاخرى ، لتمثيل وجهة نظر الاسلام تمثيلا صحيحا ، وقد استطاع الاتحاد والحمد لله تصحيح كثير من الافكار الخاطئة عن الاسلام والمغروسة فى أذهان العائشين فى هذا البلد من جراء الكتابات والاضاليل التى نشرها التبشير والكتاب الصليبيون وخاصة في بعض الكتب المدرسية .

كما ينهال على الاتحاد والجمعيات الفرعية مئات الرسائل لطلب المنشورات والكتب عن الاسلام أو استفسار عن ما نشر فى بعض المقالات والكتب عن الاسلام ، وهذا يتيح فرصا كثيرة لنشر تعاليم الاسلام الصحيحة .

ونتيجة لما ينشره الاتحاد من مقالات ومطبوعات وردود عن الشبهات حول الاسلام قرر كثير من المؤلفين تصحيح بعض المفهومات الخاطئة المنشورة فى كتبهم ، وكذلك اعتنق كثيرون منهم الاسلام .

وبدأ الكثيرون يحترمون المسلمين وعقائدهم ، وينظرون اليهم نظرة الاعجاب .

قصة الصور

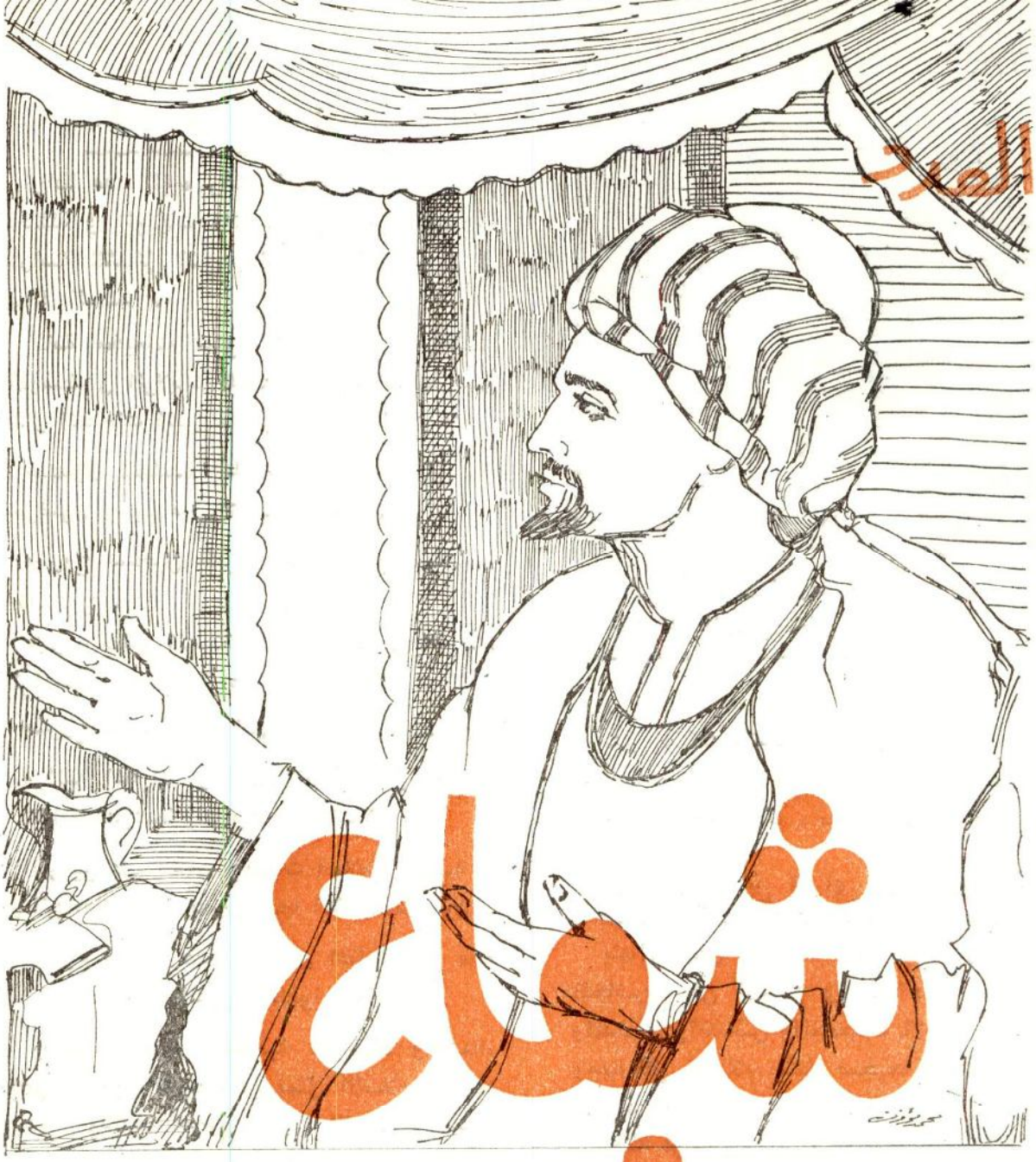

شعاع من القلب

للاستاذ حسين الطوخي

تمضى الايام والسنون بمعاوية ، بعد أن خمدت الفتن وأخذ يسوس الناس بالرفق والمصانعة حتى استقامت له الامور ، واجتمعت حوله الكلمة ، فالتفت الى الداخل يوليه عنايته ، فانضبطت شئون الخراج ، وتأمنت سبل القوافل فى طول البلاد وعرضها ، وأقام من أوفياء عماله من العرب الخلص حكاما على الولايات وأمراء على الأمصار ، كما كان يبادر بعزل كل عامل تثبت عليه شبهة أو مظلمة بعد أن يحاسبهم بالعدل والقسط ، دون ما التفات الى صلة قرابة أو وشيجة مصاهرة .

ويطيب للخليفة أن يسمر مع خلصائه ووجوه بنى أمية بقصر الخلافة فى دمشق ذات ليلة ، فيجرى الحديث فى المجلس حول شئون الدين والدنيا وأمور الملك ، ويستمع الى غليظ القول ورقيقه ممن يضمه المجلس الكبير ، ويتميز «يزيد» ولده وولى عهده غيظا حين يشهد أباه يوسع صدره لهذاوذاك ، ويغضى حياء ببصره حين يغلظ اليه أحد الشيوخ فى القول .

ثم ينتهى سمر الخليفة ويأذن لسماره بالذهاب ويتهيأ للرقاد ، وحين يغادر قاعة المجلس ، يرى ابنته « عاتكة » تنتظره خارجها لتحدثه فى أمر يشغل بالها منذ أيام .

ويحنو الأب على ابنته الأثيرة ، ويقبل جبينها ، ويربت على أكتافها ، ويفتح لها قلبه الكبير ، فتطلب اليه عاتكة أن يأذن لها بالحج وزيارة قبر الرسول فى ذلك العام .

وتضىء البسمة فى وجه الخليفة ، ويجيب دعوتها ، ويأمر بأن تجهز خير جهاز ، ويرصد لها ما تتصدق به على الفقراء من أعطيات تليق بمقام ابنة أمير المؤمنين .

وتصل قافلة عاتكة ، يسبقها نبؤها الى مكة ، ويلم بها الناس ليشهدوا فخامة الموكب ، ويمنوا النفس بخير يصيبونه من صاحبته التي يتلألأ وجهها بالضياء من خلف الستور .

ويقبل الشعراء والمغنون من أطراف مكة ، لينالوا حظهم من عطاء ابنة أمير المؤمنين ، التي تصيخ سمعها الى قصائدهم وانشادهم ، وتحس « عاتكة » انها تخففت من أثقال كانت تحملها هناك فى دمشق ، حيث يقيم الخليفة وحيث العيون والأسماع تترصد كل ما يجرى بين جدران القصر المهيب .

انتشت عاتكة بما سمعت وشهدت من المواكب الفرحة التي تعيش فى ظل خلافة رشيدة أشاعت الأمان والرخاء والسعة فى كل شئون الحياة .

كانت نشوة عاتكة مثل نشوة الطفل الغرير الذى انفلت من رقابة مؤدبيه الى آفاق رحبة يرتع فيها ويلهو دون رهبة من حساب أو خشية من عقاب .

حتى أقبل ذلك الشاعر يتئد فى مشيته ويختال فى هيئته ...

ازاحت عاتكة طرف الستر الذى يحجبها عن زحام المواكب التي تروح وتغدو بالاهازيج والغناء ونقر الدفوف ، فابصرت وجها وضيئا يتطلع الى هودجها ، ولا تبدو عليه سمات المتكسبين بالشعر ، انما يشع من وجهه جمال رصين يجذب اليه القلوب والأبصار . وأخذت نظراته تروح وتجىء متمهلة غير منهومة ، وادعة غير ملهوفة تستطلع وجه عاتكة وتتأمل قسماته .

احست عاتكة بشىء ما ينشب فى قلبها الرهيف ، ويركض فيه نبضه اللهيف ، وغامت عيناها لحظة ، ولما افاقت ابصرت الشاعر الوسيم يدير وجهه حتى لا تلحظ ما عراه من رعشة الحب الذى نزل فى قلبه ، فصيره كعود زهر أصابه الطل فارتعد .

واحس الشاعر ان سهما طاش من راميه فاصابه ، فمد يده الى قلبه يتسمع بها دقاته ، وقد أمسك بعضها بعضا حتى أوشكت أن تعصف باضلاعه ، ثم استدار نحو عاتكة فرآها ارخت الستر وتوارت خلفه ، فتقدم نحوها يبغى ان يحدثها ، فما راعه الا ان شتمته ، وأومات الى جواريها وخدمها بالرحيل الى « ذى طوى » حيث هيىء لها مقام جليل تنزل به حتى ينقضي الحج .

ولم يدر الشاعر الصب أن « عاتكة » قد غلبت على ذلك بعد ان رأت خدمها وجواريها يلحظنها ، وهي تنظر اليه وتتأمله ، وخشيت على نفسها ان تعود الى أبيها ، وهي بعد ابنة الخليفة ، تسحب من ورائها شائعات بانها احبت واحدا من الشعراء الذين يتبعهم الغاوون ، فاصطنعت غضبها امام خدمها ، بينما القلب يئن من سهام العيون .

ولما أن تحركت القافلة ، واختلط الحابل بالنابل ، رجع الشاعر الى مجلسه مع نظرائه من شعراء مكة ، وظل ساهما لا يتكلم ثم جرى لسانه على غرة يترنم بصوت رخيم .

انى دعانى الحَيْن فاقتادنى
حتى رأيت الظبى بالباب
يا حسنه اذ سبنى مدبرا
مستترا عنى بجلباب
سبحان من وقّفها حسرة
صبت على القلب بأوصاب
يذود عنها اذ تطلبتها
أبٌ لها ليس بوهاب
أحلها قصرا منيع الذرى
يحمى بأبواب وحجاب

وشاعت الأبيات فى عاتكة بمكة ، وشهرت وذاعت ، وانتقلت من لسان الى لسان ، وغنى فيها المغنون ، حتى سمعتها انشادا وغناء فضحكت، وأعجبتها الأبيات العذبة ، والغوانى يفرهن الثناء ، ويرقق قلوبهن الرجاء ، وبعثت تسأل عن الشاعر ، فأخبرت أنه « ابو دهبل الجمحى » فتطامن جاشها ، وسكن خاطرها ، فهو الذى مدح أباها من قبل بقصائد عذبة اهتز لها وجدان معاوية ، فأمر له براتب سخى يبعث اليه فى كل عام .

وانقضت أيام عاتكة فى مكة والمدينة ، وكانت لا تود من أعماقها الأوبة الى دمشق ، والى جدران القصر الذى يموج بالخدم والجوارى والوصائف ، حيث يرقبون الرائح والغادى ، ويتسمعون دقات القلوب ، ويعدون أنفاس من يعيش داخل القصر ، وينقلون كل ما تنطق به الشفاه الى هنا والى هناك .

لكم تمنت ابنة الخليفة أن تبقى فى مكة لتذوب مع بسطاء الناس ، وتعيش مثلما يعيشون على أهوائهم ، وتشهد كل ما يجرى بينهم على السجية، حيث لا عين هنا ترقب ، ولا أذن هناك تلتقط ما يجرى به اللسان أو تهمس به الشفاه .

وفى يوم الرحيل من مكة والقافلة على أهبة المسير ، بعثت عاتكة الى « أبى دهبل » بكسوة وجائزة ، وبكلمات لا تفهمها الرسل وتنشي بها قلوب المحبين .

وجرت بينهما الرسل والرسائل ، وعاتكة من قبل ومن بعد ، واحدة من البشر الذين خلقهم الله بقلوب تخفق بالحب ، ولا فرق فى ذلك بين ابنة ثرى وفقير ، أو بنت أمير وخفير .

غادرت القافلة أرض الحجاز وفى قلب عاتكةجوى يتأجج لهيبه كلما ذكرت « أبا دهبل » ، وتمنت لو لم تكن ابنة أمير المؤمنين المطوقة بقيد الامارة الثقيل ، وما يتطلبه من مداراة هوى القلب ، وكتمان ما يضطرم بين الضلوع ...

ولكم راودتها فى نومها أحلام عذبة ، وأنها خلصت لهذا العاشق الذى أحبها وأحبته ، وانهما يعيشان تحت سقف واحد ، لا يزحمهما رقيب يعد عليهما الأنفاس ، ويرصد همس الشفاه .

لكنها كانت أحلاما أو أضغاث أحلام ، وحين تفيق عاتكة لا ترى أمامها غير رمال الصحراء كأنها ذرات من ذهب سكبتها الشمس فى سخاء .

ولكم غالب « أبو دهبل » خفق قلبه الذى استهام بحب عاتكة ، على يقينه أن النجم البعيد فى السماء ، انما هو أقرب اليه من نيلها زوجة ورفيقة حياة .

لم يستطع أن يشهد عاتكة تفارق أرض الحجاز ، وأخذ يغالب رغبة عارمة فى أن يصحبها ، وغلبته رغبته ، وسار على مبعدة من قافلتها وهي تراه ، حتى اذا حطت فى محلة للراحة من وعثاء السفر ، حط العاشق قريبا من خيامها يرقب غدوها ورواحها ، وينشق من عبير النسمات الرطبة روائح المسك والكافور التي تطيبت بها عاتكة ، فتغيم عيناه ، ويضطرب قلبه ، ويوشك أن يغيب فى اغماءة طويلة .

ولم تجزع عاتكة من مصاحبة « أبى دهبل » لقافلتها ، فقد هون الحب عليها أن تحمل عتب اللائمين بأنها شجعته ، وكانت تعهده بالبر واللطف حتى وردت دمشق ودخلها معها ، فانقطعت عن لقائه ، بعد أن غيبتها عن ناظريه جدران القصر والأبواب ، ومن يقف عليها من الحجاب .

استبدت اللوعة « بأبى دهبل » ، فكان يخرج فى الليل ، ويجوس فى طرقات دمشق حتى تقوده قدماه الى قصر الخليفة ، فيأخذ فى الطواف من حوله لعله يلمح شبحها ، أو يلتقى بوصيفتها ،

لتنقل اليها وجيب قلبه المفتون ، حتى اذا يئس من لقائها عاد الى داره ذاوى النفس محزونا ، وألم به المرض وأخذ يهذى فى نومه ويقظته .

طال ليلى وبت كالمحزون
ومللت الثواء في جيرون (١)
وأطلت المقام بالشام حتى
ظن أهلى مرجمات الظنون
فبكت خشية التفرق جمّاً
كبكاء القرين أثر القرين
وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوا
ص ميزت من جوهر مكنون
واذا ما نسبتها لم تجدها
في سناء من المكارم دون

الى ان قال :

ولقد قلت اذ تطاول سقمى
وتقلبت ليلتى في فنون
ليت شعرى أمن هوى طار نومى
أم برانى البارى قصير الجفون

وشاع هذا الشعر فى دمشق ، وتناقله الناس فى المجالس وليالى السمر ، حتى بلغ معاوية فصبر عليه ، وكان قد بلغه خبره مع عاتكة ، حتى اذا كان فى يوم الجمعة الذى يستقبل فيه الوفود والشعراء دخل عليه الناس وفيهم « أبو دهبل » فقال الخليفة لحاجبه . اذا أراد أبو دهبل الخروج فامنعه وارده الي .

وجعل الناس يسلمون ويخرجون ، فقام أبو دهبل لينصرف ، فناداه معاوية. يا أبا دهبل الي. فلما دنا اليه اجلسه ورحب به حتى خلا المكان . فقال له : ما ظننت أن فى قريش أشعر منك حيث قلت :

ولقد قلت اذ تطاول سقمى
وتقلبت ليلتى في فنون
ليت شعرى امن هوى طار نومى
أم برانى البارى قصير الجفون

غير أنك قلت أ

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوا
ص ميزت من جوهر مكنون
واذا ما نسبتها لم تجدها
في سناء من المكارم دون

والله ان فتاة أبوها معاوية وجدها أبو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت . فأى شيء زدت فى قدرها ؟ غير أنك أسأت فى قولك :

ثم خاصرتها الى القبة الخضـ
ـراء تمشى في مرمر مسنون

ارتاع « أبو دهبل » لحظة ثم قال : والله يا أمير المؤمنين ما قلت هذا الشعر ، وانما قيل على لساني ولصق بى ، وأمير المؤمنين ، أعزه الله ، يعلم قدره وسناء منزلته فى قلب شاعره الوفي .

أخذ معاوية يتفرس فى وجه أبى دهبل ويستجلى قسماته ، فتضرج بالخجل ، وطأطأ الخليفة رأسه ، والبشر يشيع فى وجهه ثم قال : أما من جهتى فلا خوف عليك أبا دهبل ، لانى أعلم صيانة ابنتي لنفسها ، وأعرف فتيان الشعر لم يتركوا أن يقولوا النسيب فى كل من جاز ومن لم يجز ، انما أكره لك جوار « يزيد » وأخاف عليك وثباته ، فان له سورة الشباب وأنفة الملوك .

لم يجد « أبو دهبل » كلمة يقولها لخليفة المسلمين الذى تدين له الرقاب ، الا أن يرفع اليه وجهه ليرى فيها معاوية دموعا كبيرة هى أبلغ من كل كلام . أدار الخليفة وجهه الى خادمه ، وأسر فى أذنه كلاما ، فجرى الخادم لساعته ثم عاد يحمل كيسا مختوما دفعه الى أبى دهبل وصحبه حتى غادر آخر أبواب القصر .

نعم . كان معاوية يحب « أبا دهبل » الذى مدحه وتغنى بفضائله فى شعره دون أن يلقاه ، فقد كان معاوية يقيم فى الشام منذ خلافة أبى بكر حتى بويع له بالخلافة .

كان معاوية يحس بأن هناك شعاعا فى قلبه يربط بينه وبين ذلك الشاعر العف الذى مدحه فى قصائد رائعة ، شاعت فى أرض الحجاز ، وتناقلتها الركبان والرواة ، وتغنى بها الحداة والمغنون ، حتى بات معاوية يجرى بذكره كل لسان فى الأطراف القريبة والبعيدة على السواء .

لقد أراد معاوية بهذا اللقاء السمح بينه وبين شاعر شبب بابنته ، أن يهرب أبو دهبل فتنقضى المقالة عن ابنته ، ويأمن جانب ولى عهده يزيد .

(وكان حلم معاوية بأبي دهبل ، أبلغ من محبته له ، فقد يتغير الحال بين المحبين ، وتتبدل ما بينهم من وشائج الى سياط من البغضاء ، أما الحلم فعسير على صاحبه ان يفارقه أو يزايله ،

---

(١) جيرون . مكان قرب دمشق .

انما يظل كامنا فى القلب كالجوهر الاصيل يشع بالجود والصفح والعطاء .

غادر ابو دهبل دمشق وارض الشام يجرجر من ورائه أذيال خزيه من أمير المؤمنين الذى قابل الاساءة بالاحسان ، واستقبل كبوته بأن أعانه على الوقوف آخذا بيديه ، لكنه لم يستطع أن يقف دون قلبه والخفق بحبها . وكذلك عاتكة ابنة معاوية خليفة المسلمين وامير المؤمنين . لم تنسه عاتكة ، وها هو ذا خياله يطوف من حولها بوجهه الصبيح ، ويحملها معه الى مكة حيث كانت هناك فى القافلة ، وأبصرته ونظر اليها قبل أن ترخى الستر .

عاد الى مكة جسدا بلا روح ، وجسما بلا قلب ، فقد ترك الروح والقلب هناك فى دمشق ، فى ذلك القصر الذى يضم خليفة المسلمين وولده يزيد وابنته التى أحبها وأحبته .

لم يقدر « أبو دهبل » أن يحول بين روحه وروح عاتكة ، ولم يستطع ان ينأى بقلبه عن ترديد حبها ، فكان يكاتبها وتكاتبه ، وتجرى الرسل بينه فى مكة وبينها فى دمشق ، وهى تتعلل فى رفض خطابها متعلقة بخيط أو هى من خيوط العنكبوت .

وبينما معاوية فى جناحه بالقصر بعد أن خلى الى نفسه يسترجع معها ما أبرم من أمور ، دخل اليه خادم له فقال . يا امير المؤمنين ، والله لقد سقط الى عاتكة اليوم كتاب ، فلما قرأته بكت ثم أخذته فوضعته تحت مصلاها ، وما زالت خائرة النفس منذ اليوم .

قال الخليفة لخادمه . اذهب فالطف لهذا الكتاب حتى تأتينى به . فانطلق الخادم ، فلم يزل يلطف حتى أصاب منها غرة ، فأخذ الكتاب واقبل به الى الخليفة فقرأ فيه .

أعاتك هلا بخلت فلا تـرى
لذى صبوة زلفى لديك ولا حقا
رددت فؤادا قد تولى به الهوى
وسكنت عينا لا تمل ولا ترقا
ولكن خلعت القلب بالوعد والمنى
ولم أر يوما منك جودا ولا صدقا
أتنسين اياما بربعك مدنفا
صريعا بارض الشام ذا سقم ملقى
وليس صديق يرتضى لوصية
وادعوا لدائي بالشراب فما أسقى
واكبر همى ان أرى لك مرسلا
فطول نهارى جالس أرقب الطرقا
فواكبدى اذ ليس لى منك مجلس
فاشكو الذى بى من هواك وما ألقى
رأيتك تزدادين للصب غلظة
ويزداد قلبى كل يوم لكم عشقا

اضطرب فؤاد معاوية ، وتغير وجهه وأحس الغضب يمور فى أعماقه ، وويل للجانى من الحليم اذا غضب ، فقال لخادمه . ادع لى يزيد .

ودخل يزيد على أبيه فوجده مطرقا حزينا فقال . يا أمير المؤمنين ، ما هذا الامر الذى شجاك ؟ قال معاوية . أمرٌ أمْرَ ضَنى وأقلقنى منذ اليوم ، وما أدرى ما أعمل فى شأنه ، قال يزيد . وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال معاوية وهو يغالب سورته ، هذا الفاسق أبو دهبل كتب بهذه الابيات الى اختك عاتكة ، فلم تزل باكية منذ اليوم ، وقد أفسدها ، فما ترى فيه ؟ وكانما كان معاوية يتحسس فى ولى عهده مقدار مواجهته لما قد يعرض له من مواقف فى خلافته المقبلة ، وكانما كان يعرف فى يزيد حنقا تزل فيه قدمه ، وهو بعد فى سورة الشباب وابهة الملك .

قال يزيد ـ على مظنة بانه سيرضى أباه ـ والله ان الرأى لهين . قال معاوية . وما هو ؟ اجاب يزيد . عبد من عبيدك يمكن له فى أزقة مكة فيريحنا منه ...

أغاظ الرأى معاوية فاندفع يقول . أف لك . والله ان امرأ يريد بك ما يريد ، ويسمو بك الى ما يسمو لغير ذى رأى ، وأنت قد ضاق ذرعك بكلمة وقصر فيها باعك حتى أردت أن تقتل رجلا من قريش ! او ما تعلم أنك اذا فعلت ذلك صدقت قوله وجعلتنا أحدوثة أبدا .

قال يزيد ـ والخجل يأخذ بخناقه يا امير المؤمنين ،انه قال قصيدة اخرى تناشدها اهل مكة ، وسارت حتى بلغتنى واوجعتنى وحملتنى على ما اشرت به فيه . قال معاوية . وما هى قصيدته التى أوجعتك ؟ قال يزيد . أوما سمعت يا ابى قوله .

الا لا تقل مهلا فقد ذهب المهل
وما كل من يلحى محبا له عقل
لقد كان فى حولين حالا ولم أزر
هواى وان خوفت عن حبها شغل

حمى الملك الجبار عنى لقاءها
فمن دونها تخشى المتالف والقتل
فلا خير فى حب يخاف وباله
ولا فى حبيب لا يكون له وصل
فواكبدى انى شهرت بحبها
ولم يك فيما بيننا ساعة بذل
ويا عجبا أنى أكاتم حبها
وقد شاع حتى قطعت دونها السبل

تنفس معاوية الصعداء لما أن سمع أبيات أبى دهبل يلقيها عليه ولده يزيد فلم يلبث أن قال . قد والله رفهت عنى ،فما كنت آمن ان يقول أنه قد وصل اليها ، فأما الان وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وصل ولا بذل فالخطب فيه يسير . قم عنى فقد نبا قوسك وطاش سهمك .

انصرف يزيد من مجلس ابيه يتميز غيظا وحنقا اذ يرى أباه يحلم بالناس ويوسع لهم فى رحابة صدره ، ويأخذ الامور بالرفق حتى أطمعهم فى النيل منه ، ثم لا يرضى فى النهاية أن يحاسبهم ويوقع بهم ما يستحقون من جزاء .

ولقد أدرك معاوية بعد انصراف ولده أنه لابد صانع أمرا يودى بأبى دهبل ويقطع مقالته الى غير عودة . كان يعلم أنفة ولده وضيق صدره بما يتداوله الناس ، وان لا شىء أقرب اليه من سيفه ، وان لا كلمة اسرع على لسانه من القتل .

اعتزم يزيد أمرا ، واعتزم معاوية امرا آخر...

وراودت معاوية فى تلك الليلة أحلام أزعجته ، رأى من خلالها شبح أبى دهبل يروح ويجىء أمامه واجف القلب يتطلع اليه بعينين دامعتين ، كأنما يستنجد بحلمه ليضع عنه ما يعانيه وما يضطرم فى فؤاده المحزون .

وصحا الخليفة من نومه قبل أن يطلع الفجر ، وأخذ يتمتم بأدعيته ، وأتاه صوت المؤذن فقام واغتسل وأسبغ وضوءه وصف محرابه ، وبعد ان صلى الفجر ، أرسل يدعو اليه قيم القصر .

وانقضت ساعة صحا بعدها من فى القصر على هرج فى الابهاء والغرف ، وفى جناح الخليفة ، ثم سرى بينهم نبأ اعتزام الخليفة أن يحج فى ذلك العام .

حج معاوية فى ذلك العام ، فلما انقضت أيام الحج ، كتب اسماء وجوه قريش وأشرافهم وشعراءهم وكتب فيهم اسم « أبى دهبل » ثم دعا بهم ففرق فى جميعهم صلات سنية ، وأجازهم جوائز جمة . فلما قبض أبو دهبل جائزته وقام لينصرف ، دعا به معاوية ، فرجع اليه فقال له . يا أبا دهبل ، مالى رأيت أبا خالد يزيد بن أمير المؤمنين عليك ساخطا فى قوارح تأتيه عنك ، وشعر لا تزال قد نطقت به وانفذته الى خصمائنا وموالينا ، لا تعرض لابى خالد .

جعل ابو دهبل يعتذر الى الخليفة ويحلف له أنه مكذوب عليه ، وقد دسه الواشون لينالوا من منزلته عند أمير المؤمنين . قال معاوية . لا بأس عليك ، وما يضرك ذلك عندنا . خبرنى . هل تزوجت أبا دهبل ؟ أجاب أبو دهبل مبهورا . لا يا أمير المؤمنين . قال معاوية . فأى بنات عمك أحب اليك ؟ قال . انها سلمى يا أمير المؤمنين . قال معاوية . قد زوجتك اياها واصدقتها ألفى دينار وامرت لك بألف دينار . قال أبو دهبل ودموعه تجرى من عينيه . ان رأى امير المؤمنين أن يعفو لى عما مضى . فان نطقت ببيت فى معنى ما سبق منى ، فقد أبحت دمى وابنة عمى التى زوجتنيها طالق البتة .

انفرجت أسارير معاوية ، وشاع البشر فى وجهه بعد أن سمع ما حكم به أبو دهبل على نفسه لو عاد الى التشبيب بعاتكة ، فضمن له رضاء يزيد عنه ووعده بادرار ما وصله به فى كل سنة ، وانصرف أبو دهبل ، وأخذ الخليفة يتجهز للعودة الى دمشق .

وحطت القافلة فى منتصف الطريق لتصيب حظا من الراحة ، وانعقد مجلس السمر فى امسية فرشها ضياء القمر البازغ ، وامتد السماط والحديث بين ضيوف الخليفة واصفيائه، ثم بدا للقريب منه أن يسأل .

ترى يا أمير المؤمنين لو سألك سائل عما بينك وبين الناس فماذا تقول اعزك الله وجملك ؟

ابتسم معاوية فى وجه سائله برهة ثم قال .

والله يا اخى انك ما تصورت لو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت اذا هم شدوها ارخيتها واذا ارخوها شددتها ...

وعلى الفور سرت فى المجلس همهمة خافتة ... ان الخليفة لم يحج فى تلك السنة الا من اجل أبى دهبل .

يعبرون فيه عن أفكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

خير للبشرية وهى تحث الخطى الى مستوى مادى أفضل ، أن تسعى أولا الى مستوى روحى أسمى وأكمل ، وفى هذا المعنى يتحدث الاستاذ محمد عبد الله الهمشرى مدرس أول اللغة العربية بالمدرسة الثانوية بالمحلة الكبرى فى الجمهورية العربية المتحدة .

بين الحق والواقـــــع

كثيرا ما يختلف الحق عن الواقع . فتشيع فى المجتمع ظواهر وعادات وأمور تفتن الناس ، وتأخذ بحواسهم وقد تعجل لهم لذة تشتهى ، ونفعا يسيل له اللعاب ، ولكنها تصرفهم عن حق يطالبون به ، وتبعدهم عنه ، وتحيله فى نظرهم أمرا غير مقبول ولا مستساغ .

وأضرب لذلك أمثلة .

قال الله تعالى من سورة الشعراء : « كذبت عاد المرسلين . اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون . انى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين . أتبنون بكل ريع آية تعبثون. وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . واذا بطشتم بطشتم جبارين. فاتقوا الله وأطيعون». ماذا أنكر سيدنا هود على قومه ؟ .

أنكر عليهم الواقع المادى الذى شغلهم عن الحق أنكر عليهم انهماكهم فى بناء المصانع، والبيوت، والاعتداد بالقوة الى حد البطش والظلم ، كأنهم فيما هم فيه يحذقون ـ خالدون . فذكرهم بالحق فى قوله : « فاتقوا الله وأطيعون » . ودعاهم الى معرفة الله والايمان به والى طاعته كرسول يبلغ شريعة الله .

ومثل هذا الموقف تكرر مع سيدنا صالح وقومه قال الله تعالى : « كذبت ثمود المرسلين . اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون . انى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين . أتتركون فيما ههنا آمنين . فى جناب وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين . فاتقوا الله وأطيعون . » من سورة الشعراء .

والموقف واحد ، وينحل الى :

أناس هدفهم أن يعيشوا متمتعين بما لذ وطاب ، يبنون ويعمرون . وكلما حصلوا على شىء من المتاع تطلعوا الى ما بعده منهومين لا يشبعون ، وفى كل يوم يظهر العلم من وسائل الترفيه ما يسيل له اللعاب، وتتفتح له الشهوات ، ولا يهدأ لهؤلاء بال حتى يحصلوا على شىء منه ، وهكذا تنتهى أعمارهم ، وأمامهم فى الدنيا لذات قصرت أيديهم عن أن يصلوا اليها . هذه صورة كثير من الناس الآن . وهى صـورة تثير الفزع والقلق .

ان الله سبحانه يقول : (أيحسب الانسان أن يترك سدى) أيظن الانسان أن يترك غفلا لا يكلف ولا يؤمر ولا ينهي .. لا لن يترك وقد زود بعقل واحساس وجاءت اليه رسالات من عند ربه ، وجعله الله سـيدا لهذا الكون .

والله الذى خلقه بهذه الصورة حدد له غايته (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فالعبادة الهدف من خلق البشر وهى مجال اختبار لهم .

والعبادة تقضى أن يعرف الانسان ربه ويدرك عظمته ، ويؤمن بكتبه وينفذ شرعه ، ويطيع اوامره .. فيشعر بحلاوة الصلة بالله ، ويصطنع الوسائل التى ترضى الله وتصله به وسيجدها فى شرع الله فتكون العبادة حاجة الانسان لا مطلبا لله سبحانه ، وتكون مقاما كريما يجتهد فى الوصول اليه الناس ، وفيه تنافس المتنافسون .

.. أسباب كثيرة صرفت الناس عن دين الله ، وعن معرفته وعبادته ، وعن الغاية المطلوبة منهم . فهم سكارى يتخبطون وهم فى أشد الحاجة الى من يذكرهم بالله ، الى من يجلو الصدأ عن قلوبهم ، الى من يرجعهم فى رفق وأناة الى شرع الله ، وليس معنى هذا البعد عن العمل ، انما تكون هذه الاشياء وسيلة لا غاية . وسيلة الى الحياة القوية ، الحرة ، العزيزة ، الآمنة ، المؤمنة ، التقية .

ذكرى البشير الابراهيمى

وكتب الاستاذ عبد المنعم ابراهيم البحقيرى فى هذه المناسبة يقول :

مرت ذكرى رجل عظيم ، ومكافح قدير جاهد من أجل الاسلام أروع جهاد وأمضى حياته من اجل الحفاظ على حرية بلاده واستقلالها :

عاش الرجل فى وطنه الجزائر حيث الاستعمار الفرنسى يعيش على سلب الخيرات ونهب الاموال ومحاربة اللغة العربية ونشر الثقافة الفرنسية وتخريب العقول والنفوس ، وتحطيم الشخصية العربية الاصيلة ، ويصادر أموال المسلمين وأوقافهم ومساجدهم ويحولها الى كنائس . فى مثل هذا الجو نشأ البشير الابراهيمي فقاد حركة الاصلاح مع رفاق له آمنوا بمهمتهم فقاموا بها خير قيام . قام بحملة اصلاح دينى لتطهير الاسلام من الخرافات والبدع والافكار الغربية الدخيلة عليه ، وندد بالسياسة الاستعمارية التى ترمى الى محاربة الدين والقضاء عليه وطالب باعادة اوقاف المسلمين اليهم واستقلال القضاء الشرعى عن القضاء الفرنسى .

ونادى بالاخوة بين العرب والبربر ومحاربة وسائل الاستعمار للتفريق بينهما . ووقف الرجل ليعلن أن الجزائر شعب عربى وليس بقطعة من فرنسا كما زعم الاستعمار .

ووقف فى وجه حركات التبشير التى يساعدها الاستعمار واليهودية العالمية التى تحاول تحقيق أهدافها .

ووقف فى وجه الغزو الفكرى الاستعمارى ليعلن ان تاريخ الاسلام واضح لا شوائب فيه وأن المسلمين قوة لا يستهان بها ، وان مبادئهم مبادىء الحق والمساواة .. مبادىء تهدف الى حرية الانسان وكرامته .

وقف الرجل فى معركته مع الاستعمار الذى نفاه الى الصحراء وتحمل النفى صابرا ثابتا ثلاث سنوات .. ثم واصل السير فى نفس الطريق أصلب عودا وأمضى عزيمة .. واستطاع بالكفاح والعرق أن ينشىء عددا كبيرا من المدارس التى زاد عددها عن اربعمائة مدرسة . وأصدر جريدة البصائر . ولم تقتصر خدمات الرجل على الجهاد والكفاح فقط بل ترك أكثر من عشر مؤلفات أغلبها فى اللغة العربية ، كما ألف ملحمة رجزية ويبلغ عدد بيوتها ستة وثلاثين ألف بيت دارت موضوعاتها حول تاريخ الاسلام والمجتمع الجزائرى .

وقدم عددا كبيرا من المحاضرات والابحاث والفتاوى التى جمعها تلاميذه لتطبع فى كتب .

هذه قصة البشير الابراهيمى مع الكفاح والنضال من أجل الاسلام واللغة العربية ولم يكن يؤمن بالجزائر وحدها بل كان يؤمن بكل الشعوب التى تكافح من أجل استقلالها ، دافع عن حرية المغرب وليبيا وسوريا والعراق . ودافع عن مسلمى الهند وروسيا والصين .

تحية للرجل العظيم فى ذكراه ...

دور فتاة الاسلام فى معركة البناء

تناولت مجلة المعرفة الجزائرية هذا الموضوع فقالت :

ان مجتمعنا الجديد ، فى معركة التحدى للقضاء على أسباب التخلف وروأسب عصور الانحطاط ، يحتاج الى أن تميز المرأة العربية حقيقة مكانها في الركب الثائر ، وتعى مسؤوليتها الخطيرة فى صنع مستقبله .

وهى لن تستطيع النهوض بهذا الدور ، ما لم تستكمل مقومات وجودها الحر ، دون أن يخونها وعيها لذاتها ، ويخطئها تقدير تبعات الحرية ، وادراك المجال الاصيل ، الذى تحقق فيه وجودها الانسانى والقومى ..

وعلى المعلم يقع عبء كبير فى اعداد فتاة اليوم لتصنع المستقبل ، وهى مهمة يزيدها تعقيدا ما طرأ على حياتنا العامة من تطور وما فتح العصر من آفاق رحبة أمام المرأة الجديد الطامحة ، مما تقتضي حسن ادراك المعلم لروح العصر وايمانه بحتمية التطور ، كى يواجه قضايا الوضع الجديدللمرأة دون أن يقف بمعزل عن سير الحياة، أو يتصور جدوى أى جهد عقيم ، يغلق نوافذ المدرسة وأبوابها ، ليحول دون تأثر بناتنا بمناخ العصر .

وموضع الصعوبة والدقة هنا ، ان انسانية الفتاة تعطيها ما لأخيها الفتى من حق الفرصة المتكافئة فى العلم والعمل ، وأن دفع التطور قضى بأن تستشرف المرأة الجديدة لآفاق غير محدودة ومطلوب منا نحن المعلمين ، أن نقنع هذه الفتاة الطامحة ، بأن حقها المقرر لا يهدر ما بين الجنسين من فروق جوهرية فى الفطرة السوية وأن نرسخ فيها الايمان بمجد الامومة ، وجلال رسالتها فى صنع الحياة ..

وفى الاندفاع الثورى للفتاة العربية والاسلامية الجديدة ، تنيط الامة العربية والاسلامية بمعلميها مهمة تحرير فهم الفتاة الجديدة لمعنى الحرية ومغزى المساواة وجوهر العصرية ، كيلا يتشابه عليها الامر فتخلط بين التحرر والتحلل ، وبين المساواة والمسخ ، أو تخطىء فهم العصرية فتحسبها مجرد زى أنيق أو صورة مستعارة أو مظهر شكلى ..

كما تنيط بهم مهمة وصل جديد المرأة العربية والاسلامية بعريق ماضيها ، لتتحرر ــ وتحرر ابناء الغد من عقدة النقص التى روجها فينا الزعم الباطل بأن شرقيتنا سمة تخلف ، وأن الحرص على الموروث من مقومات أصالتنا ظاهرة رجعية وجمود ..

وانهم لأهل لاحتمال التبعة فى هذه المرحلة الثورية من تاريخنا ، لانهم يشغلون مركزا قياديا فى شعب يخوض معركة التحدى لبناء مستقبله وشعاره .

« ان لله عبادا ، اذا أرادوا أراد » .

نزعة صحفية خطيرة

وتحت هذا العنوان كتبت مجلة هدى الاسلام الأردنية تقول :

أصبحت الصحافة عنصرا أساسيا فى حياتنا المعاصرة . ورسالة تتصل بمجالات الحياة كلها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأدبية والعلمية والعسكرية ، ولا يستغنى عن وجودها شعب مهما كان ترتيبه فى القافلة البشرية .

والصحافة يجب أن ترمى الى رفعة الانسان وخدمته وتحريره من سلطان الأنانية وقيود الجهل والسطحية الفكرية . كما لا بد من أن تعمل على تحريره من سلطان الغرائز باعلائها والتسامى بها ، والافادة منها فى نواحى الخير والهناء للسير صعدا فى معارج الكمال ، ولن يتأتى هذا للصحفى الا اذا قدم لأمته الغذاء الناضج من فكر وفلسفة وثقافة وعلم ، انه ان فعل ذلك ساعد على بناء مجتمع فاضل وأمة قوية صحيحة الجسم سليمة البناء ، ولكن بعض الصحف العربية نزعت الى عرض الجنس بالقصص المكشوف والصور الفاضحة طلبا للرواج والمغنم ، وسارت بعيدا فى كشف الأستار عن الاجساد العارية والعلاقات

الغريزية المثيرة محدثة بذلك بلبلة جنسية وثورة غريزية لدى شباب الجيل . وشدت أفكارهم وأخيلتهم الى حماة القيم الرخيصة والمعانى المبتذلة ، والتصورات الهابطة مما يؤدى الى ارتكاب السوء والاثم والمنكر . وبالتالي يختل التوازن الاجتماعي وتختل المعايير وأعتقد أن ذلك لا يؤدى الى خير .

ومن الطبيعي أن أمثال هذه الصحافة لن تترك ما هي عليه ، ولن تتزحزح عن طريقها المرسوم قيد انملة ما دام القائمون عليها يرون أنها وسيلة ناجحة أيضا لتمييع الشباب وتحطيم عزائمهم ، وقتل كرامتهم وابعادهم عن الحياة الفكرية والخلقية التي تبنى الأمم وترفع صرح المجتمع عاليا .

ولقد أرغمت الحالة الخلقية البئيسة فى فرنسا الرئيس ديجول على أن يصدر أمرا بمنع دخول أصحاب الشعور المسدلة من الشباب على طريقة « البيتلز » الخنافس من دخول فرنسا ، كما منع الشباب الفرنسى من هذه العادة وفعلاكان .

وهل هناك مايمنع من أن تصدر الدولة أمرا بمنع الصحف والمجلات الجنسية من الدخول الى أراضينا.

بين العامية والفصحى

وتناول مجلة الهدى الاسلامى التى تصدر عن الجامعة الاسلامية بالمملكة الليبية ـ هذا الموضوع فتقول :

ومما ينبغى أن نلاحظه أولا وآخرا أن العرب فى كل مكان من عنصر واحد ، بقدر ما يسمح اختلاط الشعوب بوحدة العنصر ، وهم يتكلمون بلسان واحد هو اللغة العربية التي قد تختلف قليلا فى لهجاتها من قطر الى آخر ، أو من جزء من أجزاء القطر الى جزء آخر ، ولكنها فى الفصحى هي بعينها فى كل مكان . والتراث الأدبى والعلمي والفني واحد مشترك . ولقد حاول الاستعمار أن يفرق وطننا الكبير أوطانا ليغلبنا على أمرنا بالفرقة ، وليستغلنا ويسلبنا خيرات بلادنا ، ويتخذنا اتباعا نتحرك بارادته ونخضع لأمره . وكان من وسائله فى هذا تشجيع اللهجات المحلية ، ونصر الرطانات العامية ، وتقبيح التمسك بالفصحى فيما نكتب ونقرأ ونفكر . ومن أجل ذلك نهض رجال الاصلاح وذوو الغيرة من المسلمين ، عربا وغير عرب . يدعون الى تماسك الأمة العربية بلغتها تماسكها بوحدتها لأنه مما لا جدال فيه أن اللغة هي أقوى هذه الروابط بين جميع المسلمين ، حيث أنها لغة قرآنهم وأحاديث نبيهم . ولم يكن غير العرب بأقل غيرة من العرب على هذه اللغة التي جاء بها القرآن ، وكانت معجزته على طول الأزمان .

وتشير كل حركة اصلاحية حدثت فى التاريخ الى أنها كانت تقع بين الشعوب التي تتكلم لغة واحدة . ولا نعنى باللغة تلك اللهجة التي قد تتفرع منها ، وانما نقصد بها الفصحى التي يتخذها الكتاب أداتهم فى التعبير . نقصد اللغة الام التى يتعلمها الجيل الصاعد فى المدارس والمعاهد . فقد كانت اللغة هي اساس الوحدة الألمانية ، والوحدة الايطالية فى القرن التاسع عشر ، وهي أساس الرابطة العامة . فعندما يتكلم مجموعة من الناس لغة واحدة فمعنى ذلك أن بينهم من الصلات مالا يعده الحصر . واذا كان بين الشعوب التي تتكلم اللغة العربية شيء من الخلاف فى أنماط التفكير وفى العادات والتقاليد ، فهو خلاف يسير لا يشوه الصورة العامة ، وفى هذا التنوع ما يشبهه فى الامم المعروفة بتماسكها الشديد فى عقيدتها وتقاليدها .

دور الأسرة فى المجتمع

وكتبت مجلة « دعوة الحق » المغربية مقالا تحت هذا العنوان نقتطف منه ما يلي : ـ

ان المجتمع الذى هو مجموعة أفراد ، لا يصلح الا بصلاح أفراده .. لم يرو لنا التاريخ عن مجتمع متقدم أفراده متأخرون . فلذا وجب أن ينصب اهتمام المصلحين والقادة على تقويم الفرد ، ولزم أن ينشأ نشأة سليمة فى البيت والمدرسة والمؤسسات التربوية . ووجب أن يكرس اهتمام الحاكمين على تثقيف عقله وتقويم طبعه وخلقه واذكاء جذوة الايمان فى صدره .. الايمان بالمثل العليا ، وبحب الخير .. ليصبح فردا صالحا ، وليتكون من أمثاله المجتمع الصالح الذى ننشده . ان المجتمعات المتخلفة لا تشكو شيئا شكواها من انعدام التربية والتهذيب فى نفوس أفرادها . فقد نجد منهم من أخذوا بحظ وافر من الثقافة ، ولم يصيبوا الا اليسير من التربية فتراهم أقرب الى البدائية والبهيمية منهم الى الانسانية . لا تعادل بين القوى المفكرة وبين الغريزة فيهم . ينساقون مع أهوائهم مثلما ينساق النحل والنمل مع الغرائز التي ركبها القدر فى طباعهم ، فجعلهم يسيرون على مقتضى جبرية حتمية . ولاهمال التهذيب والتربية نرى أفراد المجتمع قلما يسلكون فى تصرفاتهم حسب العقل الواعى المدرك الذى ميزهم به القدر عن باقى المخلوقات . فيلزم اذن أن تكرس الجهود فى آن واحد على تنمية العقل وتربية النفس ليكون الفرد صالحا فى حد ذاته وليصلح به المجتمع .

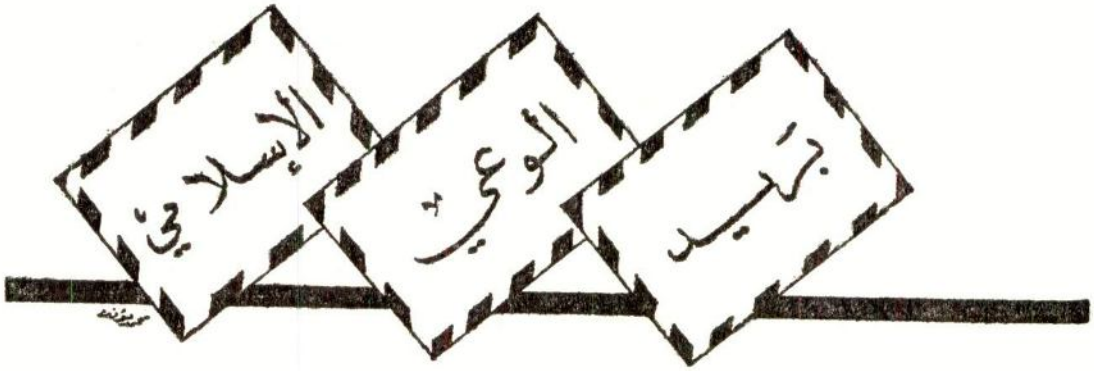

رسالة من طنجة

فى بريد الوعى هذا الشهر عدة رسائل من المملكة المغربية ، أعرب فيها كتابها عن اعجابهم الشديد بالمجلة ، وتطوعهم بالدعاية لها ، والمطالبة بتيسير الحصول عليها ومضاعفة الكميات المرسلة منها .

ومن بين هذه الرسائل رسالة مطولة من الاستاذ / الحسن بن محمد بن الصديق المدرس بثانوية الخطيب بطنجة يصور فيها حاجة الشباب المسلم الى عرض الاسلام عرضا ملائما لروح العصر عرضا يتصدى للزحف المادى المدمر ، والتيار الالحادى الجارف الذى يتقاذف الشباب يمنة ويسرة ليغرقه فى محيط القلق والشك ، وندع القارىء ليطالع جزءا من هذه الرسالة .

انه لمن حسن حظى أن وقعت بيدى مجموعة من أعداد مجلتكم الغراء المسلمة عن طريق صدفة لا أعرف ما أقول عنها الا أنى أحمد الله كثيراً عليها ، اذ أتاحت لي التعرف على مجلة طالما أسفت أنا وكثير من أمثالي الذين يعملون بحقل التدريس بالمدارس الثانوية على فقدان مجلات من نوع مجلتكم تعنى بشؤون الدين والثقافة والحضارة الاسلامية بأسلوب يساير روح العصر ، ويتخصص للكتابة فيها أعلام كبار يعرفون كيف يجذبون الشباب لقراءة ما يكتبون سواء من ناحية الموضوع أو طريقة العرض او حسن الاقناع ، حتى تسد الفراغ الذى كثيرا ما اشتكى منه شبابنا وجعلوه عذر عدم اقبالهم على المجلات الدينية لأن الموجود منها على قلته لا يجدون فيه ما يحببهم فى قراءته خصوصا أمام مزاحمة المجلات العلمية والأدبية والفنية والقصص والروايات المغرية والمثيرة سواء باللغة العربية أو الأجنبية ، مما يجعل مهمة بعض المخلصين الغيورين فى توجيه الشباب الى الثقافة الاسلامية وما تشتمل عليه من كنوز العلم والمعرفة ومحاربة تيار الالحاد الجارف نتيجة الثقافة الاجنبية والتأثر بالحضارة الغربية وتقديسها أمرا صعبا ومحدودا . ولكنى بعد ما قرأت هذه الأعداد التي وقعت فى يدى من مجلتكم . ورأيت تنوع موضوعاتها ومقدرة كتابها مع ما تمتاز به من حسن العرض واتقان الطبع وما يزينها من صور وتحقيقات واستطلاعات . أخذت فى الدعاية لها بين أصدقائي وتلامذتى وغيرهم وما منهم الا وتمنى أن لو كانت تعرض للبيع عندنا . اذا لسدت فراغا بين شبابنا فى توجيههم الى الثقافة العربية بصفة عامة ، وعملت على مزاحمة المجلات الغربية الاجنبية . وبذلك يكون للكويت فضل كبير على شبابنا فى توجيهه الى الثقافة العربية والاسلامية ، وتوقيفه على أمجادها وما يجرى فى عالم العروبة والاسلام من نهضة وتطور وأحداث حتى يقاوم مركب النقص الذى خلفه الاستعمار فى نفوس ناشئتنا ، مما يجعلنا نكبر جهود القائمين على المجلة ونتمنى ظهور أمثالها فى بلادنا وكل البلاد العربية الشقيقة .

وبعد فشكرا للأخ على رسالته ، وتمنياتنا له بالتوفيق ، وسيجد طلبته من المجلة لدى السيد أحمد عيسى صاحب مكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء .

الاحرف السبعة

قرأت حديثا مرويا عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقرأني جبريل على حرف ، فراجعته ، فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف .. فما معنى الاحرف السبعة التى تلقى بها النبى القرآن الكريم ؟

محمد المرضى ـ السودان

القرآن الكريم نزل بلسان العرب « انا أنزلناه قرآنا عربيا » ولسان العرب تختلف لهجاته باختلاف القبائل ، فهناك لهجة قريش ، ولهجة هذيل ، ولهجة هوازن . الخ ... وأن أشهر هذه اللهجات سبع ، ومن أمثلة هذا الاختلاف فى نطق كلمة «حتى » فقريش تنطقها بالحاء وهذيل تنطقها بالعين . ولو كلف الله العرب جميعا مع اختلاف لهجاتهم القراءة على وجه واحد لشق عليهم ذلك ، فمن تيسير الله على عباده حفظ القرآن وتلاوته أنه أنزله على الاوجه التى ينطقون بها .

والقرآن الكريم نزل معظمه بلغة قريش ، فطلب النبى صلى الله عليه وسلم من ربه ان يزاد على هذا الوجه ، فاستجاب الله له ، ولم يزل يزاد حتى انتهى الى هذه الاحرف السبعة ، وفى رواية مسلم انه عليه الصلاة والسلام قال : ان أمتى لا تطيق ذلك ، ومعنى هذا انه لو نزل كله بلغة قريش خاصة لتعذر على غيرهم من القبائل تلاوته ، فخفف الله عنهم، وأنزل عليهم القرآن على حسب لغاتهم ولغات قبائلهم المشهورة ..

ومما تجب ملاحظته ان القرآن الكريم أنزله الله تعالى على هذه الاوجه التى ينطق بها العرب يومئذ بدون أن يتغير شىء من معناه الحكيم ، أو ينقص شيء من بلاغته وفصاحته التى تحدى بها جميع معارضيه من فحول البلاغة ، بل كان اختلاف الاحرف التى نزل بها آية اخرى من آيات اعجازه ، اذ لو نزل على وجه واحد ولغة واحدة لسهل على الآخرين ان يحتجوا على عجزهم عن معارضته بنزوله على غير لغتهم ، فقطع الله على جميع العرب هذه الحجة. وصدق الله « ولقد يسرنا القرآن للذكر » ....

ردود قصيرة

السيد عبد الحميد عيسى غازي طالب ثانوى ج . ع . م

كلمتك الأدبية « عبر الجمال » المتواضعة ـ على حد تعبيرك ـ والتي بعثت بها الى المجلة لعلها تجد مكانها فى باب « بأقلام القراء » كلمة وصفية ، وهذا الباب لا يتسع الا للكلمات الهادفة الواقعية التي تستهدف خدمة المجتمع الاسلامي ، ونحن نحمد لك رحابة صدرك ونحقق لك رجاءك فى التوجيه والنصح فى هذا الباب ، ونأمل أن تكون رسالتك التالية فى هذا الاتجاه .

السيد علي ن . يس الكويت .

لا يشفع لك فى فعلتك الا أنك كنت دون البلوغ ، أما وقد بلغت فان الواجب يتقاضاك أن تصارح والدك بالحقيقة ، وأن تبادر بتبرئة والدتك مما نسب اليها ظلما وافتراء ، وأن تترضاها ما استطعت ، ونحن على ثقة من أن قلب الأم أوسع من خطيئتك .

الأخ حبيب الله بن محمد موريتانيا .

نحن نعمل على العثور على وكلاء لتوزيع المجلة فى جميع أقطار الأرض ، ويمكنك الحصول على المجلة عن طريق مكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء .

السيد مسعد فرج المقريف ـ كلية الآداب والتربية ـ بنى غازى ليبيا .

وكيل المجلة بليبيا السيد محمد بشير الفرجاني وعنوانه طرابلس الغرب ص . ب ١٣٢ .

السيد / حسين أحمد الحامد الكويت .

المجلة ترسل الى حضرموت ، ويمكن طلبها من مكتبة الشعب المحدودة بالمكلا ص . ب (٢٨) ونحن نرحب بعلماء المسلمين فى حضرموت ، فاكتب الى من تعرف منهم لموافاتنا بمقالاتهم .

الفتاوى

هدايا الخطبة

السؤال : ـ

ورد من السيد / ج . أ . د من الكويت السؤال الآتي :

تقدمت لخطبة بنت وتمت الخطبة وفى أثناء الخطبة قدمت هدايا كثيرة ولكن عقد الزواج لم يتم ، فهل لي الحق فى المطالبة باسترداد هذه الهدايا ؟ .

الاجابة : ـ

المقرر شرعا أن الخطبة هي طلب المرأة للزواج بها . فهي من مقدماته ، غاية الامر أنه أبيح للخاطب النظر اليها أثناء الخطبة كما ـ قال عليه الصلاة والسلام ـ (انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما) أى تدوم المودة بينكما بعد ذلك .

فاذا رآها ورأته بالقدر الذى يكفى لكل منهما أن يتعرف على الآخر حصل فى قلب كل منهما ما يكون سببا للاقبال على الزواج أو الاعراض عنه ، فهي مجرد وعد بالزواج ، وليست عقدا به ، ولكل من الطرفين الحق فى العدول عن خطبته ، وهو حق ثابت عند جميع الفقهاء .

وبما أن الثابت أن الخطبة ليست الا مجرد وعد بالزواج ـ فالخاطب اذا عدل عن خطبته ـ وكان قد قدم هدايا لمخطوبته مثل الشبكة أو الهدايا التي تقدم فى المناسبات المختلفة كالأعياد والمواسم فقد اختلف الفقهاء فى هذه الهدايا : فيرى بعضهم أن مثل هذه الهدايا تعتبر هبة ، وتأخذ حكمها ، ويطبق عليها قواعدها فله حق الرجوع بما لم يستهلك . فالموجود منها يرد الى الخاطب ، وما استهلك لا ترد قيمته .

ويرى البعض أن الخاطب لا يرجع فى شيء مما أهداه ان كان العدول منه ، ولو كانت الهدايا باقية ، اما اذا كان العدول منها فله الحق فى استرداد كل ما قدمه من هدايا ، سواء فى هذا ما كان باقيا على حاله او لم يكن باقيا فيأخذ الباقي وقيمة ما استهلك .

ونحن نختار الافتاء على أساس أن العدول لو كان منها فعليها أن ترد كل شيء وصل اليها من الخاطب بعينه أو قيمته . وان كان العدول منه يسترد الأشياء الباقية بعينها ، أما ما استهلك فلا حق له فى المطالبة بقيمته .

يجب التفريق

السؤال : ـ

ورد من ج . س / العراق السؤال الآتي :

أردت الزواج أنا وابنى من أختين شقيقتين : الكبيرة لي والصغيرة لابنى ، وأجرى العقد ، وفى ليلة الزفاف حصل خطأ ، فدخلت زوجة كل منا فى حجرة الآخر ، لاقامتنا

فى منزل واحد ، وحصل الدخول الفعلي دون أن يتنبه واحد منا الى هذا الخطأ ، حيث لم يكن أحد منا قد رأى زوجته من قبل ، وفى الصباح تبين هذا الخطأ . فما حكم الشريعة فى ذلك ؟ .

الاجابة : ـ

لا شك أن دخول كل واحد منكما بمن دخل بها كان على أساس أنها زوجته الحقيقية ، ولذلك يعتبر هذا الوطء فى حكم الشريعة وطئا بشبهة .

وقد ذهب الأئمة الأربعة الى أن الوطء بشبهة يوجب التحريم ويسقط الحد ، ومن ثم فتحرم موطؤة كل منكما على الآخر تحريما مؤبدا . كما أجمع جمهور العلماء وأصحاب الرأى على أن الرجل اذا وطىء امرأة بنكاح فاسد فانها تحرم على أبيه وابنه وابن ابنه وأجداده .

وقد ورد فى المغنى ص ٥٤٥ ـ جـ ٦ (وتحرم موطوءة الأب من غير تزويج لدخوله فى قوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) . كما أن تحريم موطوءة الابن على أبيه بشبهة تدخل تحت عموم قوله تعالى (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم الى قوله تعالى وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) .

لهذا نفتيك بأن الاختين حرمتا عليكما تحريما نهائيا فلا تحل واحدة منهما لاى واحد منكما ، ويجب التفريق فورا .

وانا لننصح كل مسلم راغب فى الزواج أن يتبع ما أرشدت اليه الشريعة الاسلامية من تعرف كل منهما على الآخر ، وقت الخطبة ، فى وجود الأسرة ، وينظر اليها ، حتى لا يحدث مثل هذا الخطا الجسيم ، فقد ورد عن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال لهالنبى صلى الله عليه وسلم (انظر اليها فانه أحرى ان يؤدم بينكما) . وعن محمد بن سلمة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (اذا ألقى الله عز وجل فى قلب امرىء خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر اليها) .

ولو اتبع المسلمون ارشادات الشريعة فى حياتهم لما وقعوا فى كثير من المتاعب ، فهذان الزوجان كم تكلفا وانفقا ... وفى الوقت الذى تهيأ فيه الجميع لبدء الحياة الزوجية السعيدة يحدث هذا الخطا الذى نغص عليهم حياتهم ... ولو حصل تعارف فى حدود الشريعة قبل الدخول لما حصل كل هذا .. كان الله فى عونهم جميعا .

فى الميراث

السؤال

توجد امرأة ليس لديها أب ولا أم ولا زوج ولا ولد ، انما لها من اقاربها أخ من امها . ورجل كان تزوجها سابقا وطلقها وهو يقرب لها لأنه ولد خالتها .

ارجو الافادة . من يرثها ؟ .

الجواب

لعدم وجود أحد من أقارب هذه المرأة سوى أخيها لأمها تكون تركتها للأخ المذكور : السدس فرضا والباقى وهو خمسة أسداس التركة ترد له أيضا لعدم وجود مستحق سواه .

هذا اذا كانت عدتها من زوجها الذي طلقها قد انتهت .

أما اذا كانت لا تزال فى العدة حين وفاتها فان التركة توزع كالآتي :

الزوج له النصف فرضا لعدم وجود فرع وارث .

الأخ لأم يكون له النصف الباقي فرضا وردا .

وقرابة الزوج السابق لها بكونه ابن خالتها لا تجعل له حقا فى الميراث لأنه من ذوي الأرحام .

الكويت

* تبرع سمو ولي العهد بمبلغ ثلاثة آلاف دينار مساهمة فى بناء جامع مدينة الثورة فى العراق .

* تلقى سعادة وزير الاوقاف والشئون الاسلامية كتابا من رئيس الجمعية الاسلامية فى ليفربول يشكر فيه حكومة الكويت على تبرعها بمبلغ ٥ آلاف دينار مساهمة منها فى بناء مسجد الرحمة هناك .

* تبدأ الدراسة فى جامعة الكويت الجديدة فى الشهر القادم .

* أبلغت الامانة العامة لجامعة الدول العربية بموافقة الكويت على عقد اجتماع وزراء الخارجية العرب .

* أعدت الجهات المختصة خطة خمسية للقضاء على الامية ، وتهدف برامج تعليم الكبار الى محو الامية بالنسبة للمهارات الاساسية واللغوية والحسابية .

* تعتزم وزارة التربية اقامة مدرسة صناعية فى الخليج العربي خلال العام القادم .

* وصلت الى تركيا طائرة خاصة تحمل كميات من الخيام والاغطية والمواد الطبية للمساهمة فى تخفيف وطأة الزلازل التى حلت ببعض مناطق الجمهورية التركية .

* غادرت الكويت الى بغداد طائرة خاصة تقل بعثة طبية لمكافحة وباء الكوليرا الذى ظهرت بوادره فى العراق الشقيق .

القاهرة

* ردت الجامعة العربية على تقرير لجنة التوفيق الدولية بشأن أراضي العرب وممتلكاتهم فى القطاع المحتل من فلسطين العربية ـ أبرزت فيه بالأدلة والوثائق أنه ليس هناك من حل بشأنها سوى استعادتها وردها الى أصحابها الشرعيين .

* بلغ عدد المدرسين والوعاظ الازهريين المعارين هذا العام ٥٢٠ أرسلوا فى ٢٤ دولة .

* أوفدت وزارة الاوقاف بعثة من علماء الازهر الى توجو .

* أوضحت احصائيات اليونسكو أن الجمهورية العربية المتحدة تعتبر الآن ثاني دولة فى العالم من حيث الميزانية المخصصة لنشر ودعم العلاقات الثقافية الخارجية .

السعودية

* يتابع جلالة الملك المعظم زياراته الرسمية للمغرب وغينيا ومالي وتونس وكان جلالته قد زار من قبل طهران وكراتشي ومدريد وواشنطن وأنقرة .

* قررت وزارة الحج والاوقاف ـ بعد موافقة الجهات الشرعية ـ رفع قبة مقام

ابراهيم ، تمهيدا لوضع قبة مكانها أصغر حجما من الكريستال وذلك لتوسعه المطاف ، وينتظر أن يتم تركيب القبة الجديدة قبل موسم الحج القادم .

*** تبرعت الحكومة بمبلغ ٧٠ ألف جنيه استرليني لمنكوبي الزلازل فى تركيا .**

★★★

بغداد ـ صرح السيد رجب عبد المجيد نائب رئيس الوزراء بأن هدف الحكومة هو توحيد جميع القوى الشعبية فى العراق ، وتنفيذا لهذه السياسة صدرت الاوامر بالافراج عن جميع المعتقلين السياسيين .

الجزائر ـ نظم المجلس الاسلامي الاعلى فى الجزائر جولات لأعضائه فى عدد من المدن الجزائرية للتوجيه الروحي والتوعية الدينية .

هاجمت صحيفة الثورة الافريقية موضة فوق الركبة للسيدات وقالت . ان الموضة التى تكشف عن الافخاذ ، وتبرز معالم الجسم لا تتلاءم مع عقلية الشعب المسلم .

أعلن رسميا ان الحاج ابراهيم نياس أحد كبار شيوخ القبائل السنغالية عين عضوا فخريا فى المجلس الاسلامي الاعلى فى الجزائر .

السودان ـ أعلن السيد الصادق المهدى رئيس مجلس الوزراء السوداني أن حكومته ستعيد النظر فى قوانين البلاد . وتغير منها ما ينافي تعاليم الاسلام ، وانها ستعمل على دعم التربية الاسلامية .

ليبيا ـ تضم الجامعة الاسلامية فى ليبيا ثلاث كليات : أصول الدين والشريعة واللغة ، كما تضم ١٣ معهدا ابتدائيا واعداديا وثانويا ، ومعهدا للقراءات ، وأكثر من ١٤٢ مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ، وتقبل الجامعة الطلاب من جميع انحاء العالم الاسلامي .

الاردن ـ جرت اتفاقات سرية بين السلطات الاسرائيلية وعدد من الدول الاجنبية على قبول العائلات العربية وتوطينها وعدم السماح لها بالرجوع ، وقد تم ترحيل ستين عائلة من منطقة الناصرة وحدها الى كندا .

ـ اهاب المؤتمر الهندسي العربي العاشر الذى عقد أخيرا فى القدس ـ بالملوك والرؤساء أن يسارعوا الى انهاء مأساة فلسطين واعادة الحق الى نصابه ، وقد اشترك فى هذا المؤتمر ٤٧٠ مهندسا يمثلون الدول العربية .

متفرقات

لندن ـ يقوم البروفسور آرثر أوبرى احد كبار العلماء فى الشئون الاسلامية واستاذ اللغة العربية فى جامعة كمبردج بوضع تاريخ شامل لخطوط المصاحف .

جوهانسبرج ـ أقام المسلمون مسجدا مكان بناء قديم كانوا يقيمون فيه الصلاة منذ خمسين سنة بلغت نفقاته ٢٥ ألف جنيه استرليني ، وقد طلبت حكومة جنوب افريقيا هدمه لانه بناء غير مشروع .

لويزفيل ـ صرح محمد علي كلاى بطل الملاكمة فى العالم بأنه يعمل منذ سنتين للتبشير بالاسلام وأنه يتجول فى البلاد لهذا الغرض .

هونج كونج ـ هاجم المتظاهرون الصينيون أحد المساجد فى بكين أثناء حملتهم على العادات القديمة والاتجاهات الدينية .

الارجنتين ـ افتتح المركز الاسلامي فى الارجنتين مكتبة الشيخ محمد عبده ، وقد خصص لها جناح كبير فى مبنى المركز .

كندا ـ نظمت بعض الجمعيات الاسلامية رحلة لاعضائها الى البلاد العربية ، وبلغ عدد المشتركين فيها حتى الآن ١٥٠ مسلما .

اقرا فى هذا العدد

كلمة سمو الامير		٤
اخي القارىء	رئيس التحرير	٦
احاطة القرآن بالفطرة	الدكتور محمد أحمد الفمراوى . . .	٨
محمد خاتم النبيين (٤)	المستشار الثقافي	١٤
مناهج التفكير فى الشريعة الاسلامية	الشيخ محمد محمد المدنى	١٨
عبرة من تاريخنا	الاستاذ على الطنطاوى	٢٤
صدق المعرفة ووحدة الوجود	الشيخ محمد الغزالى	٢٨
باطل زاهق	الدكتور أحمد الحوفي	٣٢
اشراقة نور (قصيدة)	الاستاذ جاسم عبد الرحمن	٣٨
فى تاريخ القرآن	الدكتور عبد الصبور شاهين	٤٢
العالم العربى	الاستاذ أحمد مظهر العظمه	٤٦
الاسلام والحضارة	الدكتور مازن المبارك	٥٣
خواطر	يكتبها ع . النمر	٥٦
الاسلام والادب	الاستاذ عزت العزيزى	٥٨
الماوردى	الشيخ أبو الوفا المراغى	٦٦
حديث مع الأستاذ مالك بن نبى	التحرير	٧٠
رحلة مع الكلمات المهاجرة (قصيدة)	الاستاذ محمد أحمد العزب . . .	٧٤
مائدة القارىء	التحرير	٧٦
اتحاد الطلبة المسلمين فى امريكا	اعداد ادارة الشئون الاسلامية . . .	٧٨
شعاع من القلب (قصة)	الاستاذ حسين الطوخى	٨٢
بأقلام القراء	التحرير	٨٨
قالت الصحف	التحرير	٩٠
بريد الوعي	التحرير	٩٢
الفتاوى	التحرير	٩٤
الأخبار	التحرير	٩٦

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات منا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء
الرياض : مكتبة المدينة ـ ص‌ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح
الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص‌ب ٢٢
جده : مكتبة الصلاح العالمية ـ عمارة البنك الاهلى ص‌ب ٦٣٥
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص‌ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطر : ص ب ٥٢ ـ السيد عبد الله حسين نعمه
عدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد
المكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحدودة
دبى : ساحل عمان ـ ص‌ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
بغداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب
عمان : وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى
القدس : وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨
السودان : ص ب ١٥٥ ـ الخرطوم
مراكش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد أحمد عيسى
ليبيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ـ شارع الجهره ..

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

فارس عربي فوق صهوة جواده

مطبعة حكومة الكويت